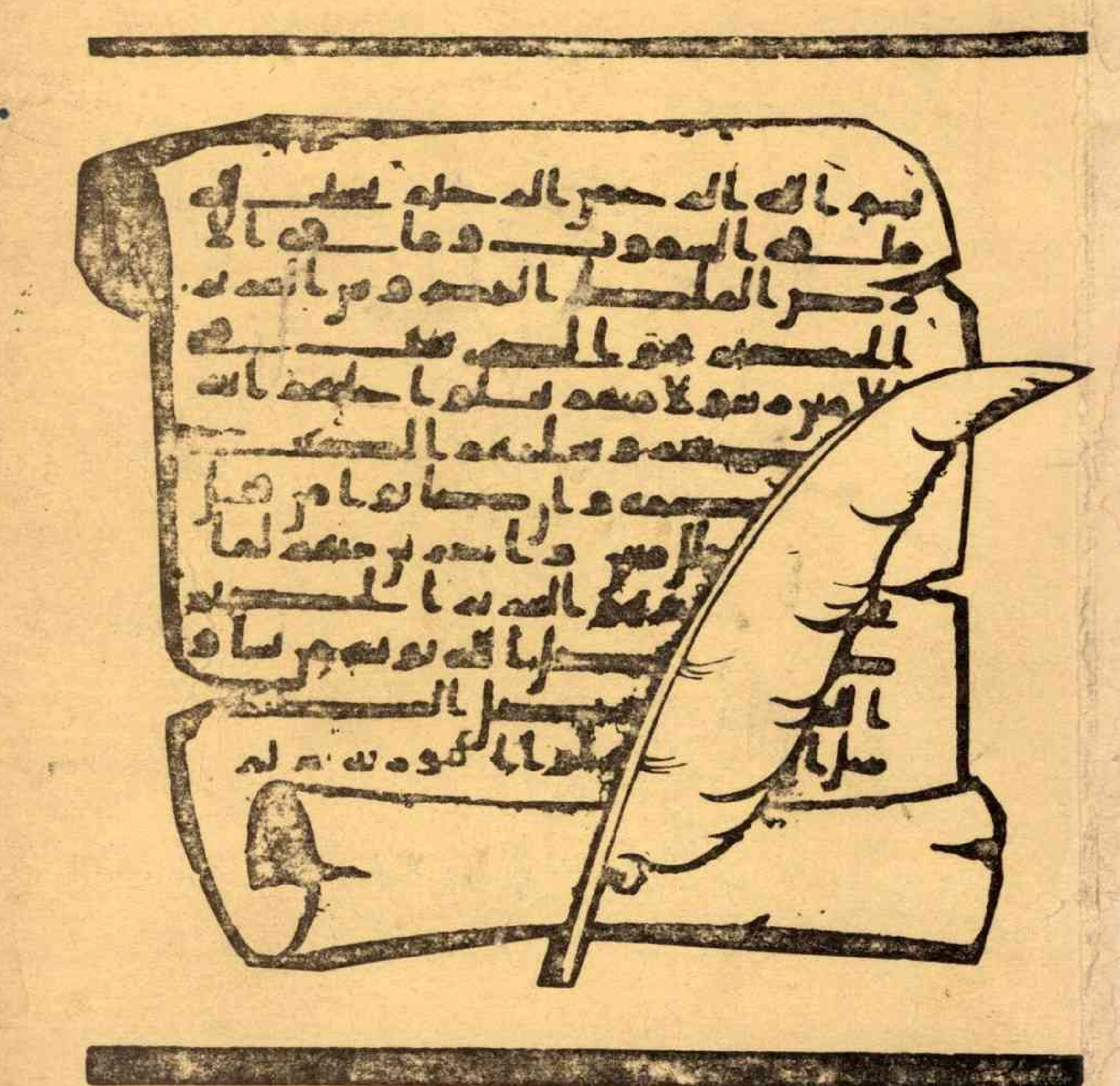
تهذيب الفرد في الاسلام



اللواء المتقاعد كامل طه محمد الدبوني

تهذيب الفرد

في الاسلام

بقلم

اللواء المتقاعد كامل طه محمد الدبوني



طبع الكتاب ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

تقديم الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدي ومولاي رسول الله، وعلى آله واصحابه اجمعين.

هذا كتاب تربوي، قصد به مؤلفه الالتزام بالتربية الاسلامية، معتمداً على الكتاب والسنة ومصادر التربية الاسلامية المعتمدة، فجمع منها ما اقتنع بها وصادفت في نفسه قبولاً، ورأى انها تفيد في تربية الطفل المسلم، وتقويم انحراف المسلم الكبير، فهو مفيد للصغير والكبير، يهدي للتي هي اقوم، وينير الطريق المستقيم ويدل عليه.

ولست من رجال التربية، ولاأزعم لنفسي هذا الشرف، ولكنني قرأت كثيراً من الكتب والبحوث والدراسات التربوية، وجمعتني الزمالة في مجامع اللغة والعلم في البلاد العربية بكثير من اساطين رجال التربية، الذين قضوا زهرة حياتهم في الدراسات التربوية وفي التدريس الجامعي، فلاحظت ان اكثرهم متأثرون غاية التأثر برموز التربية الاجنبية ومصادرها، لاينفكون يرددون اسماءها رجالاً ومؤلفات، مبهورين بها، معتمدين عليها، واثقين بها ثقة عمياء، وتساءلت مرة في اجتماع احد المجامع اللغوية والعلمية. الايوجد رجال تربية من المسلمين، لهم مؤلفات في التربية تستحق الذكر والتنويه ؟ ولماذا نردد اسماء الاجانب ولانردد اسماء ابناء امتنا الا يوجد من ابناء المسلمين من يستحق الذكر والتنويه؟

وفي حينه ذكرت اسم الغزالي في كتابه (احياء علوم الدين) ومنهجه في التربية الاسلامية وقلت: الايستحق مثل الغزالي الذكر والتنويه ؟ وامثال الغزالي من المسلمين كثير.

ولا أريد ان انحاز او اتحيز الى احد، فالحق اولي بالانحياز اليه، وان الحق ليعلو ولايعلى عليه، ولكن هذا الحق في هذا الزمان نسي فلايذكره احد الا نادراً. ولو وضعنا منهج الغزالي (عليه رحمة الله) الذي بسطه في كتابه (احياء علوم الدين) بكل بساطة ووضوح، ثم وضعنا الى جانبه مناهج اساطين التربية الغربية، لوجدنا ان منهاج الغزالي اصلح في التطبيق للمسلمين ولغيرهم ايضاً، ومناهج الاجانب اصلح في التطبيق للأجانب وحدهم لا للمسلمين، فما يراه المسلمون حراماً في التربية يراه الاجانب حلالاً، ومايناقض تقاليد المسلمين وتعاليم دينهم في مناهج التربية الاجنبية، قد يكون مناسباً لتقاليد الاجنبي وتعاليم دينه، فما يناسبهم قد لايناسبنا، ومايعمل على بناء مجتمعهم قد يعمل على هدم مجتمعنا فلمصلحة من نطبق منهج التربية الاجنبي، ولانطبق منهج تربيتنا الاسلامية ؟

ولنعود الى ثمرات المنهجين: منهج التربية الاسلامية، ومنهج التربية الاجنبية، فنجد ان ثمرات منهج التربية الاسلامية، هذا الحشد الزاخر من العلماء الاعلام، ومن المؤلفات التي تملأ القلوب والعقول علماً ونوراً، وهذا البحر العظيم من المجاهدين الفاتحين، الذين رفعوا رايات المسلمين شرقاً وغرباً.

اما ثمرات المنهج الاجنبي، ففي بلاد المسلمين، هذا

الحشد الضخم من الشباب المائع وهذا الحشد الهائل من الفتيات المتبرجات، وهذه المؤلفات التافهة التي تشم منها رائحة الدينار والدرهم والريال، ولاتشم منها رائحة العلم والثقافة الاصيلة، لقد جعلت هذه المناهج من خريجيها تجار علم، يعتبرون العلم تجارة من اربح التجارات، ولايعتبرونه عبادة من افضل العبادات لان هذه المناهج وجهت دارسيها الى (المادة) وحدها، فالحياة الناجحة هي في اقتناص المال ومتع الحياة حراماً وحلالاً، واتكشفت الانثى في بلاد المسلمين، وضاعت النخوة واصبح الحفاظ على الأعراض شيئاً ثانوياً لايستحق العناء.

لقد اصبحت بلاد المسلمين، بهذه المناهج الاجنبية، بلا مسلمين حقاً، وقد يكون فيها حشد من المسلمين الجغرافيين، الذين يعتبرون مسلمين بالأسم لا بالفعل، وقد كانت بلاد المسلمين عامرة بالمسلمين الصادقين، حين كانت تطبق المناهج الاسلامية اما اليوم، فاصبحت تعج بالمسلمين عدداً وهم قليلون مدداً كأن الشاعر ارادهم بقوله:

اني لأفتح عيني حين افتحها
على كثير ولكن لا أرى احداً

وربما يتبادر الى الذهن، ان اشاعة الثقافة ومحو الامية، كان نتيجة من نتائج تطبيق مناهج التربية الاسلامية، والواقع ان بغداد في عهد العباسيين مثلاً والاندلس في عهد الامويين

فيها: عبد الرحمن الداخل وابنائه واحفاده وسلالته، كانتا خاليتين من الاميين وكانت الثقافة فيهما شائعة الى ابعد الحدود، وكانت مناهج التربية الاسلامية هي السائدة في بغداد والاندلس يومذاك، ولم يكن للمسلمين علم بمناهج التربية الاجنبية.

ولكن المنهج التربوي الاجنبي، قد كثّر عدد المثقفين في كمينهم، ولكنه انقص منهم في نوعيتهم، فقد ادركت مدينة الموصل مثلاً حين كانت تطبق مناهج التربية الاسلامية تعج بالعلماء الاعلام وبالمكتبات العامرة بالكتب، وكان فيها اكثر من ثلاثة علماء يصلحون ان يكونوا شيوخاً للأزهر الشريف بالانتخاب، واليوم لا أجد في الموصل بفضل المناهج الاجنبية التربوية عالماً واحداً يصلح ان يكون شيخاً في الازهر الشريف لاشيخاً للأزهر الشريف، فأين الثرى من الثريا؟!

لقد استبدلنا الذي هو ادنى بالذي هو خير، واعنا الاستعمار واعداء الاسلام بهذه المناهج على انفسنا، فكلكل على عقولنا الاستعمار الفكري، الذي هو اسوأ انواع الاستعمار واخطرها واشدها ضرراً وتخريباً.

اما ثمرات تطبيق المناهج الاجنبية في بلادهم بالذات، فحدث عن البحر ولاحرج، فقد ساد الفساد وتفشت الفحشاء، وشاع المنكر، وكثر تذمر العقلاء من علماء الاجانب من اثر هذه المناهج الهدامة في حاضر بلادهم ومستقبلها، ولاعجب، فاكثر واضعي تلك المناهج من الصهاينة والماسونية كما هو معروف، وهم يظهرون خدمة البلد، ويخفون اشاعة الفاحشة

في ارجائه.

وقبل عام مضى، صدر تقرير من لجنة تقويم المناهج في الولايات المتحدة الامريكية، وقد جاء في التقرير مانصه، (لو ان عدواً لدوداً لنا اراد تخريب بلادنا، ما استطاع تخريبه، بما استطاعت مناهج التربية في ابنائه).

واحصائيات التفسخ والانحلال الشنيع بين الجنسين في الولايات المتحدة اصبحت مضرب الامثال، وهذه الاحصائيات ليست صادرة من عدوهم ولكنها من ابنائهم بالذات:

فاذا بلغ تأثير المناهج التربوية الاجنبية هذا المبلغ، في الذين وضعوها وصدروها الينا، فلا عجب ان يبلغ ضررها في المسلمين مبلغاً هو الهدم والخراب لا التربية والتقويم. ولعل من ثمرات هذه التربية، ماتقذفه اجهزة الاعلام الاسلامية في المجتمع الاسلامي من شرور ومآسي لها اول وليس لها آخر.

وسأقتصر على الاذاعة المرئية، فقد استشرى ضررها حتى بلغ في تخريبه حداً لايوصف، لقد رأيت تمثيلية في دولة عربية شقيقة، يحث اب فيها ابنته الى البغاء من اجل جمع المال، فيقول لها: إتصلي بابن العمدة، فهو غني... الخ ورأيت تمثيلية اخرى، يلمح فيها اب ابنته في خلوة مع شاب غريب عنها، فينصح ابنته ان تبتعد عما يمس سمعتها بسوء، فذلك قد يؤثر في مستقبلها فتكتب الابنة الى احد محرري الصحف، تشكو له اباها، وتقول له: انه يمنعني من الاختلاط بمن احبه، فيرد عليها الصحفي: ان اباك رجعي، وتصرفه لا يناسب القرن الذي نعيشه، ولا ضير من الاختلاط

والاختلاء بين الحبيبين، ليعرف كل واحد منها مزايا وسلبيات صاحبه على المكشوف.

اهذا يناسب تعاليم ديننا الحنيف ؟ اهذا يتفق مع الغيرة العربية! هذا يتماشى مع الدفاع عن العرض وصيانته؟.

ان مناهج التربية الاجنبية، في تطبيقها على المعاهد الاسلامية والعربية، ادت فيما ادت اليه، الى ترسيخ الاستعمار الفكري في عقول التلاميذ والطلاب والمعلمين والاساتذة، والى اشاعة الانحلال الخلقي، والى زيادة في التعليم وقلة في النابغين، والى اضعاف النخوة ومناعة الدفاع عن العرض، والى تغلغل مصائب تناقض تقاليدنا وتعاليم ديننا.

وليس هذا من مصلحة الامة على كل حال.. انها من مصلحةاعداء الامة بلا مراء، اني ادعو الى العودة الى تطبيق مناهج التعليم العربية الاسلامية العريقة، تلك المناهج التي جعلت العرب والمسلمين يقودون الحضارة العالمية ثمانية قرون، لهم الريادة والقيادة، وكانوا رأساً في كل شيء، فلما طبقوا مناهج التعليم الاجنبية، اصبحوا ذنباً في كل شيء لا رأساً.

وهذا الكتاب يدعو الى مناهج التربية الاسلامية، فهو دعوة تبني ولاتهدم، وتعمر ولاتخرب، وتعلم ولاتميع التعليم، وتنمي اخلاق العلماء التي تصون كرامة العلم والعلماء، وتجعل الشهادات العلمية فوق الشبهات، وتخرج العلماء لا الجهلاء، وتصون الدين والتقاليد، وتدعو للتي هي اقوم.

والله الموفق للعودة الى طريق الحق والصواب، وحسبنا

الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الجمعــة : ٧ شـعبان ١٤٠٨

الموافق: ١٩٨٨/٣/٢٥

محمود شيت خطاب

محمود شيت خطاب

مقدمة الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان ليعبد الله ويوحده، قال سبحانه: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)(١)، وجعله خليفة في الارض لحكمة ارادها، قال تعالى: (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة)(٢). وبعد خلق سيدنا آدم عليه السلام، علمه الله تعالى الاسماء كلها، اسماء الاشياء والاعمال. قال سبحانه: (وعلم آدم الاسماء كلها..)(٣). ثم امر الملائكة ان يسجدوا لآدم، فسجدوا الا ابليس ابي واستكبر، قال تعالى:

(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي واستكبر وكان من الكافرين)(٤). فكان اول عدو لسيدنا آدم عليه السلام، حيث كان السبب بأخراجه وزوجة من الجنة. قال تعالى: (وقلنا ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى

---

(١) سورة الذاريات /٥٦

(٢) سورة البقرة /٣٠

(٣) سورة البقرة /٣١

(٤) سورة البقرة /٣٤

حين)(٥). ولمعصية ابليس ما أمره الله تعالى، فقد طرده سبحانه من رحمته. قال تعالى: (قال فأخرج منها فانك رجيم. وان عليك اللعنة الى يوم الدين. قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون. قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم. قال رب بما اغويتني لأزينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين. قال هذا صراط عليّ مستقيم. ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين)(٦).

فكان الشيطان اول ابتلاه للانسان. يسعى كل طاقته لأغواء الانسانوصرفه عن الطريق الحق، وان الله تعالى قد وعد بأن ليس للشيطان سلطان على عباده الا من اتبعه من الغاوين. وامر العباد بعدم اتخاذه وذريته اولياء من دون الله، قال تعالى: (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (١).

والبلاءالثاني: هو ان الله تعالى خلق الانسان ضعيفاً، : (.... وخلق الانسان ضعيفاً)(٢) اي ضعيف البنية وضعيف الارادة وضعيف الصبر وضعيف على قهر الهوى،

---

(٥) سورة البقرة / ٣٥- ٣٦

(٦) سورة الحجر / ٣٤ - ٤٢

(١) سورة الكهف /٥٠

(٢) سورة النساء /من الاية /٢٨

فالوجه انه تعالى طريق الخير وطريق الشر: قال تعالى: ونفس وماسواها. فالهمها فجورها وتقواها. قد افلح من زكاها. وقد خاب من دساها)(٣).

فانه تعالى قد ألهم النفس البشرية طريق الخير وطريق الشر، كما قال تعالى (وهديناه النجدين)(٤). فالذي يزكى نفسه ويرفعها بطاعته يفلح بعمله ومن يعصي الله، فانه يحط من قدر نفسه ويذلها بهذه المعصية وفعله للشر فيفشل.

وفي الحديث الشريف: (اللهم اعزنا بطاعتك ولاتذلنا بمعصيتك)ان الله سبحان وتعالى لم يترك الانسان وحيداً ولم يكله إلى نفسه، فانه (ابتداءً) خلقه على الفطرة بحيث يتمكن بالعقل السليم والفطرة السليمة من معرفة الباري عز وجل ويطيع اوامره، قال تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون)(٥).

وانه تعالى ارسل رسله ليبينوا للناس شريعة الله، وارسل خاتم النبيين والرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وانزل معه الكتاب بالحق (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)(٦) وقال سبحانه (فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع

---

(٣) سورة الشمس /٧-١٠

(٤) سورة البلد /١٠

(٥) سورة الروم /٣٠

(٦) سورة المائدة /من الاية /١٦

هداي فلا يضل ولايشقى)(٧) ان لايضل في الحياة الدنيا ولايشقى في الاخرة.

ان الله تعالى قد تكفل بهداية الانسان الى السبيل الحق اذاقصده، لأن هناك طرقاً عديدة تسلك، الا ان طريق الحق واحد، وهو الطريق الموصل لمرضاة الله تعالى، قال سبحانه: (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر)(١) انه تعالى هو الهادي الى السبيل الواضح الصحيح، قال سبحانه (انّ علينا للهدى)(٢) والذين يسيرون بطريق الهداية التي يبنيها الله تعالى، فانه سبحانه يوفقهم ويزيدهم هدى، قال تعالى (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى)(٣)،قد اخبرنا الله تعالى بأنه يضل اعمال الكافرين لكفرهم، قال تعالى:

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم. والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم. ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم)(٤).

فأتباع ما جاء به الرسول الكريم والاستجابة لدعوته

---

(٧) سورة طه /١٢٣

(١) سورة النحل /٩

(٢) سورة الليل /١٢

(٣) سورة مريم /٧٦

(٤) سورة محمد /١- ٣

صلى الله عليه وسلم هي التي تهدي الانسان الى الطريق الصحيح وتجعله يحيا حياة طيبة سعيدة. وبذلك يتحقق العدل والاحسان والمساواة بين الناس.

إني لما شرعت بكتابة هذا البحث كان هدفي الاول محاربة اسبابالشقاء: وهي الفحشاء والمنكر والعدوان. وتذكير الانسان للرجوع الى اوامر ربه وخالقه، واتباع سنة نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام. وقد استرشدت بقول نبي الله شعيب عليه السلام، قال تعالى:

(.... إن اريد الا الاصلاح ماأستطعت وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب)(٥).

والســـلام

بغداد في: ٢٥ /٧ /١٩٧٥ كامل طه محمد الدبوني

---

(٥) سورة هود /٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وحبيبه وعلى آله وصحبه اجمعين.

١- تمهيد:

وبعد، فأني لاحظت بعض الناس يتبعون اهوائهم من دون تمحيص ولاعلى مقياس مقبول، فأثرت ان اكتب بحثاً في موضوع:

(مجاهدة هوى النفس وتهذيب الفرد في الاسلام) النفس التي تتأثر بأكثر من واحد من المؤثرات.

٢- خلق الانسان على الفطرة:

ان الله سبحانه وتعالى، خلق الانسان في احسن تقويم، واختاره من بين سائر البرية، وجعل قلبه محل كنوزه من الايمان والتوحيد والاخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة، وجعل توابه اكمل التواب وافضله، وانه تعالى قد ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة وعلى الجبلة المستقيمة، ولايولد احد الا على ذلك، ولاتفاوت بين الناس في ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه او ينصرانه

او يمجسانه)(١).

فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وانه لا اله غيره،وعبادته وتعظيمه وتقديسه، قال الله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله. . . .)(٢)

٣- إلهام النفس الطريق:

يقول الله تعالى: (ونفس وماسواها، فألهمها فجورهاوتقواها)(٣) اي ارشدها وبين لها فجورها وتقواها، وهداها الى ما قدر لها، فانه تعالى خالق نفوسنا واعمالها، وكقوله تعالى: (انا هديناه السبيل إما شاكراً واما كفورا)(٤) اي بين للانسان للطريق ووضحه له وبصره به، كقوله تعالى: (وهديناه النجدين)(٥) اي بينا له طريق الخير وطريق الشر، (اما شاكراً) اي انه قد عرف طريق الحق والخير فأتبعه فاصبح حاله من الشاكرين لله تعالى، (واما كفورا) لاتباعه طريق الضلال. وكقوله تعالى: (قد أفلح من زكاها)(٦). قد

---

(١) رواه الطبراني والدار قطني وابو يعلى عن الاسود بن سريع.

(٢) سورة الروم /٣٠

(٣) سورة الشمس /٧- ٨

(٤) سورة الانسان /٣

(٥) سورة البلد /١٠

(٦) سورة الشمس /٩

افلح من زكى نفسه اي نماها واعلاها بالطاعة والبر والصدقة واصطناع المعروف. وطهرها من الاخلاق الدنيئة، وهذا نظير قوله تعالى: (قد افلح من تزكى)(٧).

فانه تعالى قد علق الفلاح بفعل المفلح.

وكقوله تعالى: (وقد خاب من دساها)(٨) اي دسها، اي نقصها ووضع منها بترك عمل البر وركوب المعاصي، لان الفاجر خفي المكان، غامض الشخص، ناكس الرأس، بينما مصطنع المعروف قد شهر نفسه ورفعها.

٤- ابتلاء النفس

ان الله تعالى قد ابتلى الانسان بالشهوة والغضب والغفلة، وكذلك ابتلاه بعدوه ابليس لايفتر عنه، فهو يدخل عليه من الابواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه، لانه يدخل عليها مما تحب، فيتفق هو ونفس الانسان وهواه، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم، والجوارح آلة منقادة، ولاتزال الجوارح في طاعتهم كيفما امروا، وهذا هو مقتضى حال الانسان.

وفي مقابل هذه الحالة اقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم، بعونه من جانب آخر، وامده بما يقاوم به القوة التي تريد به الهلكة، فأرسل اليه رسوله، وانزل عليه كتابه موضحاً له سبيل

---

(٧) سورة الاعلى /١٤

(٨) سورة الشمس /١٠

السعادة، فأمره بكل مايؤمن له الضروريات في الحياة الدنيا، ونهاه عن ركائز الشقاء والتدمير المؤدي الى الهلاك. قال تعالى: (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)(٩).

فهذه النفس الانسانية مخلوق غير مادي، عجيب الصنع لايعلم مداه الا الله الذي سواه سبحانه وتعالى، فهي قوة في صاحبها، تتجاذبها مؤثرات ودواع مختلفة، فهذه تلم به مرة، وهذه مرة اخرى، والمنصور من نصره الله، فاذا امرته النفس الامارة بالسوء، نهته عن ذلك النفس المطمئنة، فهو حينا يكون اسير هذه القوة مرة، وتلك مرة اخرى، وسيكون للغالب عليه منهما، وربما انقهرت احداهما بالكلية قهراً لايقوم معه ابداً.

ان الله تعالى جعل له في مقابلة الهوى الذي يحمله على طاعة الشيطان والنفس الامارة بالسوء، جعل له نوراً وبصيرة وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى، فكلما اراد ان يذهب مع الهوى، ناداه العقل والبصيرة والنور، فهو يطيع الناصح مرة فيتبين له رشده ونصحه، او يسير مرة اخرى خلف دليل الهوى فيقطع عليه الطريق.

والعجيب انه يعلم من اين اخذ، ويعرف الطريق الذي قطعت عليه ولكنه يأبى الا سلوكها، لأن دليلها قد تمكن منه وتحكم فيه وقوى عليه، ولو اضعفه بالمخالفة له وزجره اذا دعاه عند ذلك لايتمكن منه، ولكنه هو اذي مكن من نفسه

---

(٩) سورة النحل /٩٠

واعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في ... ثم يسومه سوء العذاب فهو يستغيث فلا يغ... الانسان عندما يستأسره الشيطان والهوى ونفسه ... ثم يطلب الخلاص فيعجز عنه.

قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً)(١٠).

فاذا كان عند الانسان عده من الايمان تق... الشهوات والاماني الكاذبة وتزيد عليها، ينتصف من الش... وينتصر عليه، والا فالدولة لعدوه عليه، ويكون هو نفسه الملوم.

٥- معنى الهوى:

الهوى: بالقصر، ماتهواه: اي ماتحب النفس وتميل اليه، فحقيقة شهوات النفوس هي ميلها الى مايلائم طبعها، وابتعادها عن كل مالا تألفه ولاترغب فيه، مع انه كثيراً مايكون هلاكها في الملائم لرغباتها، وسلامتها في المنافر الذي لاتألفه.

والمعروف في استعمال (الهوى) عند الاطلاق، انه الميل الى خلاف الحق، ومنه قوله تعالى (ولاتتبع الهوى)(١١).

وقد يطلق بمعنى (مطلق الميل)، فيـ... لل... وغيره،وبمعنى محبة الحق والانقياد اليـ...

---

(١٠) سورة فا... /٦

(١١) سورة ...

عائشة رضي الله عنها، لما نزلت قوله تعالى: (ترجى من تشاءُ منهن وتؤوي اليك من تشاء)(١٢).

قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (ماأرى ربك الا يسارع في هواك) فحقيقة الهوى: الحب والبغض الذي في النفس، فمتى كان الحب والبغض في الله فلا يلام الناس عليه، وانما يلام على اتباعه بغير الحق وبدون هدى من الله، قال تعالى: (ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)(١٣).

قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث رواه البيهقي: (... واما الهلكات فشح مطاع، وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه)(١٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ماذكر الله الهوى في شيء الا ذمه. وقال رسول الله صلى الله وعليه وسلم: (حبك للشيء يعمى ويصم) فالهوى يعمي عن معرفة الحقيقة، والشهوة تصم عن النصح والصدق، فانه لو احببت شيئاً لنظرت اليه ولو نظرت اليه لعميت عمن سواه واقبلت عليه. ولو اقبلت عليه، ولاستمعت اليه، ولو سمعت لصممت عن غيره.

وقال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه: (الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة، ونعم طارد

---

(١٢) سورة الاحزاب /من الاية ٥١

(١٣) سورة القصص /من الاية ٥٠

(١٤) الترغيب والترهيب الجزء الاول صفحة ٦٤

الهم اليقين، وعاقبة الكذب الذم، وفي الصدق السلامة فالحب والبغض هوى، والمحرم منه اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله.

٦- اتباع الاهواء في الديانات:

ان اتباع الاهواء في الديانات اعظم من اتباع الاهواء في المشتهيات قال تعالى: (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)(١٥). اي ان لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق (فأعلم أنما يتبعون أهواءهم) اي بلا دليل ولا حجة، (ومن أضل ممن إتبع هواه بغير هدىً من الله) أي بغير حجة مأخوذة من كتاب الله.

وقال تعالى: (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء. تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون. بل أتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين)(١٦) وقال تعالى: (وقد فصّل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه، وان كثيراً ليُضلون بأهواءهم بغير علم. إن ربك هو اعلم

---

(١٥) سورة القصص /٥٠

(١٦) سورة الروم /٢٨ - ٢٩

بالمعتدين)(١٧) وقال تعالى: (قُل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)(١٨). ذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد أتبع هواه، وان العلم بالدين لا يكون إلا بهدي من الله الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم، فالواجب على الانسان أن ينظر في نفس حبه وبغضه للشيء ومقدار حبه وبغضه لذلك الشيء، هل هو موافق لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهل هو هدي الله الذي انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم، فان من اتبع هواه بغير هدى من الله، يضله عن سبيل الله، وسبيل الله هو هداه الذي بعث به رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فأتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) ثم قال (هذا بصائر للناس وهدى ورحمةٌ لقوم يوقنون) أي أتبع ما أوحي اليك من ربك لاإله إلاّ هو واعرض عن المشركين فأن هذا القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال تعالى: (أم حَسب الذين إجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءٌ محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) ثم قال: (أفرأيت من أتخذ إلههُ هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةً فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)(١٩) ساء ظن الذين كسبوا وعملوا

---

(١٧) سورة الأنعام /١١٩

(١٨) سورة المائدة /٧٧

(١٩) سورة الجاثية /١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣

السيئات بأن يساويهم الله تعالى ويجعلهم (كالذين آمنووعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم) فيساويهم بهم في الدنيا والآخرة (ساء ما يحكمون) وساء ما ظنوا بالله وبعدله، فان الله تعالى لا يساوي بين الابرار والفجار.

والذي يتخذ الهه هواه، انما يأتمر بهواه، فهو في الحقيقة يعبد ويطيع وينصاع الى هوى نفسه كلما رآه حسناً فعله، وكلما رآه قبيحاً تركه، روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تحت ظل السماء من أله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع). وعند التأمل نعرف أن عابد الصنم انما يعبد هواه، اذ أن نفسه مائلةالي ذلك، فهو يعبد ما تهوى نفسه اليه، ولهذا فان الله تعالى يضله لعلمه تعالى أنه يستحق ذلك فيجعله لا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئاً يهتدي به ولا يرى حجة يستضيء بها، (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون).

٧. درجات الأنفس:

النفس فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له،والتعدي عليه في حقه، وفيها داعي الظلم لذاتها، باتباع الشهوات، مثل اكل الخبائث، فهي قد تظلم من لا يظلمها، تؤثر الشهوات، فأما ما يكون نتيجة خاطر يخطر ويستدعي المعصية، ثم سرعان ما يزول، أو يضعف، فهذا نزغ من الشيطان، أو نتيجة لوساوس نفسية.

وما كان في القلب من هوى ثابت، او حال مزعج دائم مستنر، فهو من قبل النفس الأمارة بالسوء بطبعها، أو مطالبة منها بسوء عادتها، ونفس مثل هذا أمارة بالسوء. وما ورد على الانسان - اذا هم بخطيئة ووجد فيها كراهيتها، فالورود من قبل العدو الشيطان أو أية قوى اخرى - وكراهة الخطيئة من الايمان.

وما يحس به الانسان احساساً يدافع الهوى النفسي، لفعل المعاصي، ثم حصل له صراع باطني يمنعه من ذلك، فالأحساس الأول من النفس والمانع من تحقيق ذلك من الملك.

وما وجد من خوف أو حياء أو ورع أو زهد أو أي شأن من شأن الآخرة، فهذا من الايمان، ونفس مثل هذا هي المطمئنة.

قال تعالى : (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية. فأدخلي في عبادي. وأدخلي جنتي)(٢٠).

والنفس التي تفعل الذنب ثم تلام عليه، وتتوب ثم تعود على الذنب، ثم تحزن فيقوم صاحبها بلوم نفسه ويحدثها بالاستقامة، وأنه يحب طريق التوابين. ويرتاح قلبه الى الصديقين، ولكنه لا يسير في طريقهم ولا يتبع أعمالهم، لأن الهوى يحركه والعادة تجذبه، والغفلة تغمره، فهذا من الذين يخاف عليه الانقلاب لمداومة خطئه. ونفس هذا هي اللوامة، فهو ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا، فهو إما ان تدركه رحمة من ربه فيستقيم ويلحق بالصالحين. وإما ان يقيم

(٢٠) سورة الفجر /٢٧-٣٠

على الاصرار، حيث يقوم ويحدث نفسه بسوء عمله بحيث يراه حسنا، فيتمكن أمنه في نفسه ويتطبع على عمله قال تعالى : (افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا)(٢١) فهو لا يتمكن من تمحيص التقوى والطاعة، لأختلاطهما بنوع من الهوى والمعصية، بل أنه يتأول كانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعي انه مع الحق والعدل، وهو في هذا التأويل قد تاثر بهوى نفسه، فقد قالوا في الامثال : (يعدو على كل أمرىء ما يأتمر) أي ما تأمره به نفسه، فيأتمر هو به ويمتثله ظنا منه أنه رشده.

٨- بحث في الحلال والحرام :

الحلال : هو ما لم يعص الله تعالى في آخذه، بل رخص سبحانه في فعله، فهو يستعمل بناء على ما ورد في قوله عز وجل : (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا)(٢٢). وهو مشتق من أسمه بمعنيين : من أنحل الظلم عنه، او حل العلم فيه.

فما انحل الظلم عنه : هو الذي لم يؤخذ من أيدي الظالمين، أو لم يؤخذ من أيدي الخلق ظلما، وبذا تنتفي المطالبة به.

وما حلّ العلم فيه هو الذي حللته الاحكام والعلوم بطريق الكتاب والسنة، فتحل الأباحة والأمر به.

(٢١) سورة فاطر /٨

(٢٢) سورة البقرة /٢٩

وقد وصفه الله تعالى بالطيبات، قال سبحانه: (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)(٢٣). قيل هو الحلال.

وقال سبحانه: (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات وإعملوا صالحاً)(٢٤) أمر الله تعالى بأكل الطيبات (الحلال) قبل العمل الصالح.

وقال عز أسمه: (...ويُحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث)(٢٥)

والحرام: هو ضد الحلال، وهو من الكبائر، وقد وصفه الله تعالى. (بالخبائث). أما الشبهة، فهو ما إلتبس الأمر فيه لغموض الأدلة أو أن مصدره مجهول، فلا يتمكن أحد من تحليله يقيناً.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن أتقى الشبهات فقد إستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه، الا لكل ملك حمى، الا وان حمى الله محارمه، الا وان في الجسد مضغة اذ اصلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله، الا وهي القلب)

---

(٢٣) سورة البقرة /١٧٢

(٢٤) سورة المؤمنون /٥١

(٢٥) سورة الاعراف /من الآية ١٥٧

رواه البخاري ومسلم

وهكذا فان الأمور ثلاثة: أمر ظاهر رشده، فاتبعه، وأمر استبان ضره فأجتنبه. وأمر أشكل أمره، فعلى الانسان ان يتركه لأنه ان اشتبه عليه الأمر فقطع به، فهو متبع للهوى، ومن تغرس في فعل أو أمر غاب عنه حقيقته فأخبر به أو أظهره فقد أساء. قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعْ ما يريبك الى ما لا يريبك) رواه الترمذي. فدع ما تشك فيه أنه حلال الى شيء آخر لا شك فيه، وقد جاء الحديث: (الأثم حوازُ القلوب): أي كل ما حزّ في القلب وأثر فيه فهو إثم،ولهذا قال بعض العلماء: لا يكون حلالا حتى لا يتخالج في القلب منه شيء وحتى يسكن القلب ويطمئن به وكذلك روي عن نبي الله عيسى عليه السلام قوله: (انما الامور ثلاثة:

أمر إستبان رشده فأتبعه، وأمرٌ استبان غيّهُ فأجتنبه، وأمر أشكل عليك فكِلْهُ الى عالمه).

وكان من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (اللهم أرنا الحق حقاًفنتبعه، والباطل باطلاً فنجتنبه، ولا تجعل ذلك علينا متشابهاً فنتبع الهوى).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أخبرني ما يحل لي ويحرم عليّ، قال: (البرُ ما سكنت اليه النفس وإطمأن اليه القلب، والأثم ما لم تسكن اليه النفس، ولم يطمئن اليه القلب وان أفتاك المفتون) رواه أحمد. وفي الخبر: اذا أراد الله بعبد خيراً جعل الله له زاجراً من نفسه وواعظاً من قلبه.

٩. طلب الحلال واجب:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(طلب الحلال واجب على كل مسلم).

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا فذمه، ثم قال : (رُبَّ أشعث أغبر مشّرد في الآفاق، مطعمه حرام، وملبسه حرام، غُذي بالحرام يرفع يده في صلاته فيقول يارب، يارب، فأنى يُستجاب له ذلك).

وقد روى الطيب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(جسمٌ غُذي بحرام لا يدخل الجنة، النار اولى به).

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ان لله عز وجل ملكاً على بيت المقدس يُنادي في كل ليلة: من أكل حراماً لم يُقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ).

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أكتسب مالاً من حرام وان تصدق به لم يقبل منه، وان تركه وراءه كان زاده الى النار).

وفي الخبر المشهور عن الأمام علي رضي الله عنه: (أن الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب).

وفي الخبر ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه، أكل من كسب غلامه ثم سأله عنه فقال: تكهنت لقوم فأعطوني. فأدخل يده في فيه وجعل يقيء حتى

إستقاءه عن آخر لقمة، ثم قال: اللهم إني أعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء.

وفي الخبر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله الله مستجاب الدعوة، فقال (ياسعدُ أطبْ طعمتك تستجب دعوتك). فهذا يدل على أن الله تعالى لايستجيب دعاء عبدٍ حتى يصلح طعمته ويرضي عمله.

فأكلة الحرام تعود على الانسان ظلمة في القلب وقسوة وضعفاً في العزيمة ومعصية، ويكون بعمله غير مراع لدين الله عز وجل فهو ظالم لنفسه ويتبع هواه. والله لايحب الظالمين. فهو مأمور بالتوبة في جميع تصرفاته قبل أن يبغته الموت فيلقى الله تعالى ظالما ذا هوى، قال تعالى: (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)(٢٦).

١٠- جهاد النفس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد جهاد النفس في ذات الله) وقال عليه الصلاة والسلام: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عزّ وجل) وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد: (مرحبا بكم، قَدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر). قيل يارسول الله: وما الجهاد الاكبر؟ قال: (جهاد النفس).

---

(٢٦) سورة الحجرات/١١

فالجهاد: يطلق على المقاتلة في سبيل الله، والمجاهد: هو المحارب دفاعاً عن الحق. وجاهد: أي بذل وسعه، والمجاهدة: هي بذل غاية الطاقة. قال السري السقطي رحمه الله، ان النفس أذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات.

فأن العين أذا اعتادت الى رمي البصر الى كل شيء جميل، لم تتحفظ عن النظر الى مالا يحل، وكذلك سائر الشهوات. لأن الذي يشتهي الحلال هو بعينه الذي يشتهي الحرام، فالشهوة واحدة، وقد وجب على العبد أن يمنعها من الحرام. فأن لم يُعودها على الاقتصار على قدر الحاجة والضرورة من الشهوات غلبته.

أن النفس التي تفرح بالتنعم في الدنيا، وتركن اليها وتطمئن بها حتى تصبر ثملة كالسكران الذي لايفيق من سكره، هذه النفس يخرج من قلبها الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة فيؤدي ذلك الى موت القلب.

قال تعالى: (... ورضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها)(٢٧). وقال عز من قائل (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينة وتفاخرٌ بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد)(٢٨) كل ذلك ذم لها عند الاعتزاز بها لأنها زائلة.

قال الامام محمد بن علي الباقر رضي الله عنهما،(موت

---

(٢٧) سورة يونس /من الاية ٧

(٢٨) سورة الحديد /٢٠

القلب من شهوات النفس) فكلما رفض الشهوات نال من الحياة بقسطها.

إن للهوى حلاوة، ولكن عاجله لذيذ وآجله وخيم، وان النفس اذا تشربت حلاوة الهوى فهي تركن اليه وتستلذه وإستلذاذ الهوى هو الذي يخنق القلب.

أما قلب المؤمن فقد نزله حلاوة الحب الصافية بتعلقه بالحضرة الألهية. فتنجذب روحه- بداعية الحب- الى الذات الألهية فتُغلب حلاوة الهوى.

إخلاص العمل لله:

إنْ ما من فعلة يعملها الفرد إلاّ ويهيء لها ثلاثة كتب:
الأول: لِمَ: أي لِمَ فعلت هذه؟ أكان عليك أن تعمل لمولاك وكما أمِرت به؟ أم كان ذلك منك بهواك.

الثاني: كيف: أي قد عملته، بأن كان عليك عمله، فكيف عملته، أبعلم أم بجهل؟ فأن الله تعالى لايقبل عملاً إلا على طريقته وطريق العلم.

والثالث: لمن؟ وهذا هو طريق التعبد بالأخلاص لوجه الله تعالى، لأن الواجب على الانسان ان يتوخى بعمله الأخلاص لله تعالى بكل مافي (كلمة الاخلاص) من معنى، ونفي ماسواه، بتحقيق كلمة: (لا اله إلاّ الله) فالسؤال: لمن؟ أي لمن عملته؟ لوجه الله تعالى خالصا.إذا فأجرك عليه تعالى. أم لشخص مثلك، فخذ أجرك منه. فيستوجب المقت والعقاب أذا اراد غير الله، قال تعالى (الا لله الدين

الخالص)(٢٩).

وقال عز وجل: (وماأمروا الا ليعبدو الله مخلصين له الدين حنفاء (٣٠) وقال سبحانه: (ان الحكم إلاّ لله أَمَرَ إلاّ تعبدوا إلاّ اياه ذلك الدين القيمّ) (٣١). فالاخلاص بالعبادة هي التي تؤدي الى تصفية النفس من اكدار الهوى والشهوة. ولهذا فأن من أطاع هواه يكون كمن باع دينه بدنياه.

سبيل الجهاد:

سئل الجنيد رضي الله عنه: متى يصيرداء النفس دواءها؟ فقال: أذا خالفت النفس هواها.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول:إذا أشكل عليك أمران فأنظر ايهما اقرب من هواك فخالفه، فأن اكثر مايكون الخطأ مع متابعة الهوى.

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه في الحديث المتفق عليه: فقال له: (إتقِ الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق النِاس بخلق حسن).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل أن تُوزنوا، وتزينوا للعرض

---

(٢٩) سورة الزمر/٣،
(٣٠) سورة البينة /٥
(٣١) سورة يوسف/٤٠

الأكثر على الله تعالى يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية).

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: (أذا عظمت أمتي الدنيا والدرهم نزل منها هيبة الاسلام. وأذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي). قال الفضيل: أي أنهم حُرموا فهم القرآن. وقال صلى الله عليه وسلم: (كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله).

وعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني). فالكيس هو العاقل الذي يحاسب نفسه ويمنعها مما فيه هلاكها ويعمل لما بعد الموت من صالح العمل. والعاجز الذي يتبع هوى نفسه مما فيه هلاكها. وهو يتمنى على الله للفوز في الجنة.

فعلى المرء ألا يذنب، فإن أذنب عند إطاعته هوى نفسه فلا يحمل غيره على الذنب، فيكسب بذلك ذنبين. وفي الحديث عن رسول الله عليه وسلم: (من سنْ سُنةْ سيئة(x) فعمل بها من بعده كان عليه وزرٌ من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً).

(x) قسم من الحديث، واول الحديث هو(من سنّ سنة حسنة وعمل بها بعده كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجرهم شيئا) رواه الدرامي في سننه عن جرير.

قال الشاعـــر

عجبتُ لمبتاع الضلالة بالهدى
ومن يشتري دنياه بالدين أعجبُ
وأعجب من هذين من باع دينه
بدنيا غيره فهو من ذين أعجبُ

وقال عمرو بن العاص: العيش كله إسقاط المروءة، وأي شيء أثقل عن النفس من مجاهدة الهوى ومكابدة الشهوة ومن ذلك كان سوء الأختيار أغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار.

ومن الامثال: الرأي نائم والهوى يقظان، وربيع القلب ماأشتهى. وروى الشيرازي من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن روح القدس نفث في رَوعي: أحبب من أحببت فأنك مفارقه، وعِش ما شئت فأنك ميت، وأعمل ماشئت فأنك مجزي به).

إذا علم الانسان ان من احب شيئا سيفارقه، ويشقى لا محالة لفراقه، عندئذ سيشغل قلبه بحب مالا يفارقه وهو ذكر الله تعالى، فأن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يتبع الميِّت ثلاث: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله) رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله

صلى الله عليه وسلم بمنكبي وقال: (كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل..) ففي هذا حض على عدم الانغماس في ملذات الدنيا، وألا يأخذ الانسان منها إلا مقدار الضرورة التي تعين على الآخرة.

فالغريب المقيم ببلدة الغربة، مستوحش لا يجد من يستأنس به ولا مقصد له إلا الخروج من غربته الى وطنه. كما أنه لاينافس أحداً في مجلس. وكذلك عابر السبيل المسافر الذي لا أرب له إلاّ فيما يبلغه الى وطنه واجتماعه بأهله. فكلا الغريب وعابر السبيل شأنه أن يبادر بقضاء حاجته ثم يرجع الى وطنه. فهذه حال طالب الآخرة. بأن يكون مستعدا لآخرته ليحرز ماأعده الله تعالى لعباده المتقين من النعيم المقيم، قال سبحانه: (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) سورة القمر/آخرها.

ومن كلام الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (لكل سفرزاد لامحاله، فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه. فترغبوا وترهبوا، ولا يطولَن عليكم الأمد فتقسُّ قلوبكم وتنقادوا لعدوكم).

وهكذا نرى أن مجاهدة النفس من أفضل الأعمال وأزكاها وبها تلهم النفس المطمئنة رشدها وتقواها. وبها تخرج من وصف الامارة بالسوء الى وصف المطمئنة.

أن النفس تكره خلاف الهوى، ولذا فأن أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفس في هواها. حيث أن الهوى ضد

الحق والله يحب الحق. فعلى الانسان ان يروّض نفسه ليجعلها طيعة لقبول الأوامر الألهية والعمل بها. فأذا انتصرت النفس على هواها مرة بعد مرة أصبحت خاضعة لاوامر الله، وبعيدة عن الاندفاع العاطفي.

ولكن كيف السبيل لأن ينتصر الانسان على هوى نفسه؟ هذا مانريد أن ندرسه بشيء من التفصيل.

١١- العلم والتعليم:

إن الخاصية التي يتميز بها الانسان عن سائر البهائم هي الادراك، وان غذاء القلب العلم والحكمة، وبهما حياته. كما ان غذاء الجسم الطعام. وقد شهد الله تعالى بفضل أهل العلم وشرفهم. قال تعالى: (شهد الله انه لاأله إلاّ هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط)(٣٢).

وقال سبحانه: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)(٣٣). قال ابن عباس رضي الله عنهما: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة. وقال عز من قائل: (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحا)(٣٤). بيّن الله تعالى أن عظم قدر وثواب الآخرة يُعرف بالعلم. وقال سبحانه وتعالى: (وتلك

---

(٣٢) سورة آل عمران/١٨،

(٣٣) سورة المجادلة/١١،

(٣٤) سورة القصص /٨٠

الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون)(٣٥).

ومن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (العلماء ورثةُ الانبياء)(٣٦). لأنهم الورعون في دين الله والناطقون بعلم اليقين والقدرة، لأنهم يرثون العلم. ولا ينطقون بالرأي والهوى. ومن حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده)(٣٧). وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)(٣٨). ومن حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تفضيل العلم على العبادة: (فضل العالم على العابد كفضلي أنا على أدنى رجل من أصحابي)(٣٩). لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الابصار من الظُلمَ. وقوة الأبدان من الضعف. يبلغ به الأنسان منازل الأبرار والدرجات العلى، به يطاع عز وجل، وبه يعبدُ، وبه يوحد، وبه يُمجد، وبه يتورع، وبه توصل الارحام، وبه تعرف الفرائض، وبه يعرف الحلال والحرام. فالعلم امام والعمل تابعه،لأن العلم يهتف بالعمل، ولأن العمل ان لم

(٣٥) سورة العنكبوت/٤٣

(٣٦) رواه اترمذي

(٣٧) رواه الطبراني

(٣٨) رواه الترمذي

(٣٩) رواه الترمذي

يكن يعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعا للهوى. ومن وصية لقمان الحكيم لأبنه: (يابني كما لا يصلح الزرع إلاّ بالماء والتراب، كذلك لا يصلح الايمان إلاّ بالعلم والعمل).

قال تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه)(٤٠) فالعلم هو الذي يدعو الناس الى العمل الصالح.

ويقول الله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)(٤١). فالذين يعملون بما يعلمون يوفقهم الله ويهديهم الى ما لايعلمون حتى يكونوا علماء حكماء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (منْ عمل بما علم أورثه الله تعالى علم مالم يعلم) فأنه تعالى يوفقه في عمله.

ومن الطبيعي أنه من لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل. حتى يستوجب النار.

العمل بدون علم ضلال وإتباعُ للهوى:-

ان الذي يعمل عن علم فقد أصاب، ومن عمل بدون علم، يكون قد اتبع الظن، بل أنه قد تأول وأتبع هواه، قال تعالى: (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن)(٤٢) فأن الظن أكذب الحديث ولأن الدي

(٤٠) سورة هود /١٧

(٤١) سورة العنكبوت / ٦٩

(٤٢) سورة الانعام /١٤٨

يتبع الظـن لايكـون متيقنـا، بـل انـه مـقيم على الشـبهة فيتبع الهوى. وبذلك يكون شاطا، فيعـدل عـن طـريق المؤمنين وهو لا يعلم، يقول الله تعالى: (إن يتبعون إلاّ الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)(٤٣) يقول الله تعالى بأن ليس لهم مستنداً يستندون عليه في أعمالهم إلاّ حسن ظنهم بآبائهم وباتباع الهوى، وان الله قد ارسل اليهم الرسول بالحق. ومع هذا فلم يتبعوا ماجاءهم به ولا إنقادوا له. فالذي يتبع هـواه يتيـه في الضلالة. فمن يهديه الى الطريق السوي. قـال تعـالى: (بـل اتبـع الـذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله) (٤٤).

قسوة القلب بالجهل أشـد مـن القسـوة بالمعاصي: أمرنا الله تعالى أن لا نتبع أهواء الـذين لا يعلمون. قال تعالى: (ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون أنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئا)(٤٥). فـالذين لايعلمـون وصفهـم اللـه تعـالى. بعمى القلوب، قـال سـبحانه: (فأنهـا لاتعمـى الأبصارُ ولكـنْ تعمى القلوب التي في الصدور)(٤٦).

ذلـك لأن قسـوة القلـب بـالجهل أشـد مـن القسـوة بالمعاصي، لأن الجاهل بالعلم تارك العلم ومدع. بينما العاصي مقر بالعلم، فقد عرفه، وأن العلم دواء تصلح به الادواء، فهو

---

(٤٣) سورة النجم /٢٨
(٤٤) سورة الروم /٢٩
(٤٥) سورة الجاثية /١٧
(٤٦) سورة الحج /٤٦

يزيل فساد الأعمال بالتدارك. وأن الجهل داء يفسد الأعمال بعد صلاحها، فهو يزيل الحسنات ويجعلها سيئات. إن الجاهل لا يحل له أن يسكت على جهله، ولا للعالم أن يسكت عن علمه.

وقد سئل ابو محمد سهل رحمه الله، هل عُصي الله تعالى بمعصيه أعظم من الجهل ؟ قال : نعم الجهل بالجهل، ذلك ان الانسان يكون جاهلا وهو لا يعلم أنه جاهل، او يحسب بجهلة أنه عالم، فيسكت عن جهله، ولا يتعلم الفرائض، فتضيع عليه، ولعله يتكلم بالشبهات وهو يظن انه عالم، فهذا اعظم من سكوته.

وقيل في تفسير قوله تعالى : (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)(٤٧). انهم عملوا اعمالا لجهلهم ظنوا أنها حسنات فوجدوها سيئات. ذلك ان الايمان قول وعمل، يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية، ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل. قال تعالى : (افمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الالباب)(٤٨).

وقال الامام علي كرم الله وجهه :

ما الفخر الا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن أستهدى أدلاء
وللدر كل أمرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم اعداء

---

(٤٧) سورة الزمر/ ٤٧ ,
(٤٨) سورة الرعد/ ١٩ ,

ففز بعلم تعش حيا بـه ابـدا
الناس موتى وأهل العلم احياء

وقال الشاعر :
قائـد الغفلة الأمـل
والهـوى قائـد الذلـل
قتـل الجهـل أهلـه
ونجا كـل مـن عقـل
فأغتنـم دولـة السـلا
مـة وأسـتأنف العمـل

تبعة التربية والتعليم ومسئوليته .

إنَّ تعليم الجاهل واجب على العالم. بل إنه لازم وليس بتطوع. ففي حديث عن أنس قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ويلٌ للعالم من الجاهل حيث لم يعلمه). أخرجه ابو يعلى في مسنده، فلولا أنه واجب، ما كان له الويل في ترك تعليمه. إن الله تعالى لا يؤاخذ على ترك التطوع، إنما يؤاخذ من ترك الواجبات. فتعليم الجاهل أمر واجب إن التبعة لتربية الابناء في كل جانب من جوانب الحياة تقع اولا على الآباء، فقد روى البيهقي عن ابي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه الا طيبا) . وروى إبن ماجة من حديث ابن عباس رضي الله

عنهما : (الزموا اولادكم. وأحسنوا ادبهم).

فبذل الجهد للتربية يهدف الى إشباع الجوانب النفسية للطفل وتنميتها حتى يشب مستشعرا اسمى ألوان الود. إذ أن الطفل يستمد دوافع سلوكه من البيئة التي يتدرج فيها، واسلوب التعامل الذي يعامل به. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (مانحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن).

على أن تبعة التربية والتعليم ليست مقصورة على الآباء، فقد أوضحها رسول الله صلى عليه وسلم بحديثه : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الامام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في اهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخارم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته.

معاشر المؤمنين : إن موضوع التربية والتعليم ومسئوليته موضوع مهم. ولعل المربين الافاضل ذوي الاختصاص يفتح الله قلوبهم للكتابة حول الموضوع، هذا وإن التربية والتعليم يجب ان تبدأ في الفرد. وندرج فيما يلي بعض فقرات توصيته مؤتمر وزراء التربية العرب الثالث الذي إنعقد في الكويت من ١٧ الى ١٩٦٨/٢/٢٢ وذلك لاهميتها :

تقول التوصية : ان المؤتمر وهو يعيد تقويم الفرد العربي بعد كارثة الخامس من حزيران - ليؤمن أننا بحاجة الى التأكيد على تعميق التربية الروحية والخلقية، والتربية

العسكرية العملية، لترسيخ الايمان وروح الجهاد والتضحية والبذل والفداء.. ثم أكدت التوصية على ما يلي :-

أولا : ضرورة بناء فلسفة التربية والتعليم في الوطن العربي على الايمان بالله والمثل العليا للامة العربية، وأن يكون هذا الايمان مصدرا للسلوك العام والخاص للفرد والمجتمع.

ثانيا : الاهتمام بمادة التربية الدينية وأعتبارها اساسية على ان تكون العناية بالسلوك والممارسة لما لذلك من أهمية بالغة في تكوين الشخصية العربية.

ثالثا : الحرص في اعداد المعلم على السلوك والقدوة الحسنة وان يكون هذا الجانب اساسا في مناهج اعداد المعلمين والمعلمات.

رابعا : ان يتم تنسيق فعال بين أجهزة التوجيه المختلفة في المجتمع، من تربية وصحافة واذاعة ومؤسسات رعاية الشباب والاندية الاجتماعية، بحيث تتعاون في ايجاد جيل مؤمن بالله واع مستنير، يقدر المسئولية ويكون على مستوى الاحداث الجارية في العالم العربي، حتى يتحقق على يديه النصر إن شاء الله.

ولأجل تحقيق هذه التوصية لا بد لنا ان نتوخى في تربية الجيل رفع المستوى العلمي بما يكفل تخرج الخبراء والمتخصصين في الشئون العلمية التي تمس حياتنا. بحيث تكتفي أمتنا اكتفاء ذاتيا بخبراتها وعلمائها ، وان نعتني اعتناء خاصا بالتربية الدينية، فيجري تعليم الفرد بالقدر الضروري من الثقافة الدينية التي يجب على كل فرد مسلم ان يعرفها بحيث

هي فرض عليه، وهذا لا يتم بتخصيص الحصص الكافية لتدريس مادة الدين وعلوم القرآن الكريم في جميع مراحل التعليم، وذلك بمضاعفة الحصص المخصصة لهذه المادة في مرحلة التعليم الابتدائي، وزيادة حصة واحدة في الاسبوع (على الاقل) في الدراسات المتوسطة والاعدادية والتعليم العالي بجميع فروعه، وأن يتم إختيار المدرسين من العناصر المؤمنه بالله ولهم الدراية والخبرة والكفاءة.

فأذا اقترنت توصية وزراء التربية العرب بالتنفيذ، وأعيد النظر في المناهج التربوية على ضوئها، سيجعل الفرد مشدود الى مبادئ دينه الحنيف. هذا الدين في قرآنه وعلومه وثقافته، وسيجعلنا نتبوء المكان اللائق بنا. وسيمنحنا الحياة الحرة الكريمة، وسنعيد مجدنا الزاهر كأمة عريقة إن شاء الله.

انواع العلوم بالنسبة لفوائدها

تقسم العلوم الى ثلاثة اقسام بالنسبة الى فوائدها ومضارها :-

أولا : العلوم النافعة.

ثانيا : العلوم التي لا نفع فيها ولا ضرر.

ثالثا : العلوم المضرة.

أولا : العلوم النافعة :

منها ما هو عام ومنها ما هو خاص، فالعلم العام : هو الذي يجب على كل فرد من الأمة أن يتعلمه، فعلى الانسان

ان ينظر الى الذي يلزمه في حياته ومعاشه. عن انس بن مالك رضي اللهَ عنه ان رسول الله صلى اللّه عليه وسلم قال : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ويقول الامام مالك رضي الله عنه (طلب العلم حسن جميل، ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه). وقال ايضا رضي الله عنه (العلم نور يجعله الله حيث يشاء).

ان الانسان مأمور بتأدية فرائض عديدة. ولذا يكون العلم بها فريضة لأن ما لم تتم الفريضة الا به فهو فريضة، وأول هذه الفرائض هو علم الاخلاص وتوحيد الله تعالى، قال سبحانه (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء). فالاخلاص في العبادة مأمور به الأنسان. كما أنه مأمور بتأدية أركان الأسلام : وهي الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج (لمن استطاع اليه سبيلا). فأن هذه الاركان الخمسة إفترضت على المسلمين، ولذا اصبح العلم بها فريضة.

كما أن أكل الحلال فريضة وطلب الحلال فريضة والابتعاد عن الحرام فريضة. فصار العلم بتفاصيل الحلال والحرام فريضة. ومنها علم المعاملات بين الناس، فاذا جهل الانسان ما هو مفروض عليه، إما ان يتصرف برأيه، وبذلك سيتبع هواه ويبتعد عن سبيل المؤمنين، او انه يترك تادية الفرض المفروض عليه فيأثم.

أما العلم الخاص : فهو الذي يحتاجه الفرد في حياته ومعاشه ومهنته، كعلوم الهندسة الصناعية (التكنولوجيا) والتي تشمل علم الكهرباء وعلم المكائن، وهندسة البناء، وعلم

الاقتصاد في الصناعة، والتصميم والادارة الصناعية وغيرها، فهذه العلوم ذات فائدة كبيرة على البلد النامي، حيث أن المعامل والمصانع تعتمد في ادارتها وفي عملها وأنتاجها على هذه العلوم، وان الصناعة ترتكز عليها. ولا يمكن ان يتطور البلد ويتقدم الا بوجود أناس يختصون بهذه العلوم. وأن عدم وجودهم سيسبب تأخير صناعة البلد ويجعلها تسير على اساس غير مدروس، وتكون غير مستندة على خطط علمية موضوعية. وبذلك ستكون صناعة ذلك البلد بدائية ولا يمكن النهوض بها، ولا تطويرها الى مستويات أحسن. فلابد من وجود الاخصائيين في هذه العلوم للأخذ بصناعة البلد الى الرقي والتقدم والتطور الى الأحسن.

ان الحديث عن كل هذا شيء جميل وحسن ومهم، ولكن لنتساءل ونقول: ان هؤلاء العلماء الذين سيختصون بمثل هذه العلوم، هل سيضرهم شيء فيما اذا هم جهلوا العلوم الزراعية أو الطب مثلاً؟.

كما انه من الناحية الاخرى، هل ان الآخرين المختصين بعلوم أخرى غير العلوم الصناعية (التكنولوجيا) يوجه لهم لوم أو يصيبهم ضرر فيما اذا جهلوا العلوم الصناعية؟ بالطبع لا.

فهذه العلوم الخاصة يتعلمها الفرد. لأنه يحتاجها في حياته وعمله وحرفته، ولا تفرض بالضرورة الا على المشتغلين بتلك الحرفة أو ذلك العمل، بينما رأينا أن الفرائض المفروضة على الانسان من عبادة وطاعة لاوامر الله تعالى، والمعاملات بين الناس، كلها واجبة على كل فرد القيام بها

وتأديتها، ولذا أصبح العلم بها فريضة. وأن الجهل بها سيؤدي الى توجيه اللوم على الجاهل، لأنه سيترك تأدية الفرائض المفروضة عليه وبالتالي فأنه سيأثم.

ثانياً: العلوم التي لا نفع فيها ولا ضرر:

فهذه العلوم كثيرة، كعلوم التنجيم والعلم بالانساب وغيرها.

فهذه لا نفع فيها، بل نجد فيها بعض الضرر، ذلك لأن عمر الانسان قصير وهو أنفس بضاعة عنده، فيجب أن لا يضيع في شيء لا ينفع، فقد مرّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجُلٌ علاّمة، فقال: بماذا؟ قالوا: بالشعر والأنساب العرب، فقال: (علمٌ لا ينفع وجهلٌ لا يضر). وقال صلى الله عليه وسلم: (انما العلم آيةٌ محكمة أو سنةٌ قائمة أو فريضة عادلة)(٤٩).

ثالثاً: العلوم المضرة:

فهي أما أن تكون مضرة لصاحبها أو مضرة للعامة. فعلم السحرمثلاً مضر لصاحبه إذ لا فائدة فيه، وأنه خوض في

---

(٤٩) إنظر كتاب إحياء علوم الدين الجزء الاول للأمام الغزالي

فضول لا يغني صاحبه شيئاً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من العلم جهلاً وان من القول عياً) وذلك لأنه يؤثر تأثير الجهل بما يتركه من أضرار.

وقال نبي الله عيسى عليه السلام (ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر، وما أكثر الثمر وليس كلها طيب، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع).

وأما العلوم الضارة بالعامة، فهي إما أن تؤدي الى معصيةبالوقوع في الحرام، أو أنها تفسد عقيدة الانسان فتخرجه عن سبيل المؤمنين، ومن ثم فقد إستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم (من علم لا ينفع)، ومن هذه العلوم مثلاً العلم بالربا.. وقد أُطلق عليه إسم علم، إذْلَهُ معلوم وأصحابه علماء عند اقرانهم. وهم قد تفننوا في هذا الزمان في الاساليب يأخذ الربا وأنواعه، بحيث يصح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الزمان، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه أحدٌ إلاّ أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره).

ان العلم بالربا ليس فقط لا ينفع بل يضر، وإن الله تعالى ما تواعد ولا تهدد في معصية مثل ما تواعد في أكل الربا، قال تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحلّ الله البيع وحرّم الربا..)(٥٠)

---

(٥٠) سورة البقرة /الآيات من ٢٧٥ الى ٢٧٩

ثم قال تعالى: (يمحق الله الربا ويُربي الصدقات)(٥٠) ثم قال سبحانه: (ياأيها الذين آمنوا أتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فأن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله..)(٥٠) فهل يوجد أعظم من هذا التهديد والوعيد، وهل يفلح بعده آكل الربا، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا يتجر في سوقنا إلاّ من تفقه، وإلاّ أكل الربا شاء أم أبى). وكما قيل: تفقه ثم أتجرْ.

يتضح لنا من هذا: أن العلم وتنور الفكر بالمعارف من أسباب الهداية، وأن الجهل بالعلم النافع من دواعي الخوض في الظنون وإتباع ما تهوى الأنفس بعيداً عن اليقين.

فعلى العاقل أن يحرص للحصول على العلوم والمعارف التي تقربه الى الهداية وسلوك السُبل الواضحة التي توصله الى السعادة في الدارين.

١٢. العقل . حقيقته وشرفه:

العقل: سر من أسرار الله تعالى في الانسان ـ وما أكثر الأسرار في هذا الكائن ـ وإنما قلنا هو سر من الأسرار، ذلك لأن الادراك والوعي الذي يحصل بسببه لا يمكن أن يُعزى للجرم أو العضو المعروف.

فهو بهذا:ـ الغريزة التي يتهيأ بها الانسان لأدراك العلوم النظرية، وهو نورٌ يمنحه الله تعالى للبشر، وفيه يستعد لأدراك الأشياء وأن تؤدي قوة تلك الغريزة الى أن يعرف صاحبها عواقب الأمور، ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة، من

حيث ان اقدامه واحجامه وتريثه يكون بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب، لا بحكم الشهوة العاجلة.

وما سُمي العقل (عقلاً) الاّ لكونه (يعقل) صاحبه عما يشينه، فهذه من خواص الأنسان التي بها يتميز عنِ سائر الحيوان.

وخطاب الله تعالى الى أُولي الألباب يدركه العقل، بما أودع الله تعالى به من ألطاف، قال تعالى: (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون)(٥١) وقال عز شأنه: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)(٥٢) فبالعقل يكون المرء محسناً، وبه يكون مسيئاً، وبه يُثاب وبه يعاقب.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم قول الفجار في النار: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كُنّا في أصحاب السعير)(٥٣).

وقال صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء رضي الله عنه: (إزدَدْ عقلاً تَزدَدْ من ربك قُرباً) قال: بأبي أنت وأمي، كيف لي بذلك؟ فقال: (إجتنب محارم الله تعالى، وأدّ فرائض الله سبحانه تكون عاقلاً، وأعمل بالصالحات من الاعمال تزدَدْ في عاجل الدنيا رفعة وكرامةً وتنلْ في آجل العُقبى بها من ربك عز وجل القُرب والعزّ) رواه الترمذي.

---

(٥١) سورة مريم /٢٨
(٥٢) سورة العنكبوت /٤٣
(٥٣) الآية من سورة الملك /١٠

وقد كثر الاحتكام الى العقل في آيات القرآن الكريم لما له من الشأن في نظر الشرع الشريف، قال تعالى: (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد)(٥٤). وقال سبحانه: (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)(٥٥).

العوامل المؤثرة على نمو العقل أو ضعفه

ان هذه القوة الغريزية تزداد وتنمو من الاستفادة من العلوم والتجارب، وبذلك يحصل التفاوت بين الناس في قوة الإدراك، وبالتالي سيتفاوتون في قوة قمع الشهوات بل تتفاوت أحوال الشخص الواحد من حالة الى اخرى، فان الشاب قد يعجز عن ترك بعض المحرمات في مقتبل عمره، فاذا كبر وتمّ عقله قدر عليه، و[illegible] نفسه فيما اذا رُبي على طاعة الله ورسوله، وعرف [illegible] الفرائض التي عليه، وتدرب على الأعمال الصالحة سيكون له من نفسه خير معين للتغلب على الشهوات والغرائز التي تظهر عليه، ذلك لأن تلك الشهوات والغرائز لا تظهر عليه دفعة واحدة، بل ستأتيه بالتدريج يوماً بعد يوم مع كبر سنه، وإن تحصنه بالعلم والمعرفة ومداومته على الأعمال الصالحة، سيجعل انتصاره على هوى نفسه أمراً أكيداً.

---

(٥٤) سورة ق /٣٧
(٥٥) سورة الروم /٢٤

كما أن التفاوت يمكن أن يكون في العلم المعرّف لتلك الشهوة، فقد يقدر الطبيب على الابتعاد عن بعض الأطعمة والأشربة (المضرة للصحة لعلمه وخوفه من ضررها، بينما لا يقدر من يساويه بالعقل على ذلك (اذا لم يكن طبيباً)، حتى وان كان يعتقد بوجود ذلك الضرر فالعلم بالشيء جعل القوة للعقل ويسّر له الامكان لقمع الشهوات وكسرها، وكذا العالم، فانه أقدر على ترك المعاصي من الجاهل، لقوة علمه بضرر تلك المعاصي.

وهكذا نرى ان العلم يقوي الغريزة في العقل، كما ان التجارب والممارسة تقوي هي الأخرى عقل الانسان وتجعله اشد تمييزاً، والى ان يتكامل عند قرب الأربعين سنة، قال الله تعالى: (ووصينا الانسان بوالديه احساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كُرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربِّ أوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليَّ وعلى والدي وان اعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين، أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون)(٥٦) اللهم اجعلنا منهم.

لقد رأينا ان التجارب والممارسة تقوي عقل الانسان وتجعله اشد تمييزاً وادراكاً، كما انه اذا جهد نفسه بالعمل، فانه قد تصدر عنه قرارات خاطئة نتيجة لذلك الجهد، قال

---

(٥٦) سورة الاحقاف/ ١٥ و ١٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فأن القلوب أذا كلت عميت). فانه ان تمالك نفسه وتريث قليلاً في عمله، فان قلبه سيصفو، وتظهر له الحقائق يتبينها ويتبعها.

يقول الامام علي رضي الله عنه: (اجموا هذه القلوب، والتمسوا لها طُرف الحكمة، فانها تمل كما تمل الأبدان، والنفس مؤثرة للهوى).

كما أن قوة أدراك المرء وتعقله ستتأثر عند اتباعه هوى نفسه لأن الهوى

آفة العقل. قال محمد بن الحسن بن دريد:

آفة العقل الهوى فمن علا

على هواه عقله فقد نجا

وقال بعض الفلاسفة: الهوى مضاد العقل.

وقال عمرو بن الجاحظ: إن العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق، وقرين الهوى الخذلان، والنفس طالبة، فبأيهما ظفرت كانت في حزبة). فاذا انتصرت النفس على هواها مرة بعد مرة، أصبحت مذللة لحكم العقل، وخاضعة لأوامر الله، وبعيدة عن الاندفاع العاطفي.

إن الاسلام قد اهتم بالعقل أبلغ الاهتمام قبل أي عمل آخر مهما عظم، وقد وضع وقاية كافية لحماية العقول، فحرم تعاطي كل مسكر، وما من شأنه أن يُذهب بالوعي، مما يلحق

الانسان بغير العقلاء من العجماوات، كما حرم الزنا لحماية الأنساب والاعراض وتكريم البشر. وهكذا ثبت لنا أن كل عمل يقوم به الانسان لابد أن يكون بعلم، وأن العلم يدرك بالعقل، فالعلم إمام العمل، وأن العمل تابعه، كما وأن العمل بدون علم يكون جهلاً، وأن الجهل يؤدي الى الضلال واتباع الهوى. قال النضيل بن عياض: (العلم بلا عمل وبالٌ، والعمل بلا علم ضلال). إن الجاهل بالعلم، ان عمل أي شيء، فيكون مسؤولاً عنه ويحاسب عليه، ولا يمكن أبداً أن ينقص شيء من المسؤولية التي تقع عليه بسبب جهله، لأن الواجب عليه أن يتعلم وأن يسأل إنْ لم يعرف. وقد أخذت بهذا المبدأ اكثرية القوانين الوضعية، حيث ان الجهل بالقانون لا يعفي من المسؤولية، حتى ولا يكون سبباً للتخفيف. بينما غير العاقل، يكون حسابه وتقدير المسؤولية عليه على درجة عقله وادراكه.

١٣- الأسباب الموصلة الى الصراط المستقيم:

ولكن هل ان العلم والتعقل يكفيان لجعل النفس تنتصر على هواها؟ الجواب: كلا! لأن حصول المعرفة والعلم بالمثل والفضائل لدى الانسان. لا تعني بالضرورة كونه منصفاً بها، أو أنه معيناً للمعارف. ذلك لأن الانسان تتنازعه قوتان داخليتان: قوة تنزع الى الخير والفضيلة بقيادة العقل المدرك لمواقب الامور، وقوة تنزع الى الشهوات، بقيادة النفس والهوى، وقد تكون على علم بوخامة العاقبة، ولكن الشهوات

والمؤثرات الاخرى تتغلب على هذا الانسان فتستهويه عاجلاً، ليتجرع وبال أمره عاجلاً أو آجلاً. وعن هذا النوع يحكي لنا القرآن الكريم صورة في قوله تعالى: (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون. قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين)(٥٧)

فما علينا ـ عباد الله ـ إلاّ أن نهرع الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنتلمس الطريق، فانه تعالى الهادي الى الصراط المستقيم. قال تعالى: (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر. ولو شاء لهداكم أجمعين)(٥٨). فان هداية طريق الحق على الله تعالى. فانّ هناك طرقاً عديدة تُسلك. وليس يصل اليه منها إلاّ طريق الحق، وهي الطريق التي شرعها الله ورضيها وهي (الاسلام). قال تعالى: (وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)(٥٩).

فان الحق واحد، والسُبل الأخرى كثيرة ومتشعبة، فهي متفرقة ولذا فإن عدم إتباع طريق الله سيؤدي الى التفرقة والضياع.

ومن هذه الطرق الاخرى ما هو (جائر) أي خائر وزائغ عن الحق واتباع الهوى. وأن هدي الله يعطيه حسب مشيئته وقدرته (ولو شاء لهداكم أجمعين) وكما قال تعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من

---

(٥٧) سورة المؤمنون /١٠٥ و ١٠٦
(٥٨) سورة النحل /٩
(٥٩) سورة الانعام /١٥٣

رحم ربك...)(٦٠) نسأله تعالى أن يهدينا سواء السبيل. فلأجل مجاهدة الهوى ينبغي ان نتلمس الأسباب التي تعين على تحقيق ذلك الهدف، ومنها:-

أولاً: تقوى الله

أ- حقيقة التقوى:

التقوى هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ولها ثلاث مراتب:-

الاولى: التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى في سورة الفتح (وألزمهم كلمة التقوى).

الثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو عمل حتى الصغائر، وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع. وهو المعنى بقوله تعالى: (ولو أنَّ اهل القرى آمنوا وأتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض)(٦١).

وعلى هذا قول الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (التقوى ترك ما حَرَّم الله، وأداء ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خيرٌ الى خير).

الثالث: ان يتنزه عما يشغل سره عن الله تعالى، وهذه التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا أتقوا الله حق تُقاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون)(٦٢).

---

(٦٠) سورة هود ١١٨ و ١١٩

(٦١) سورة الاعراف /من الآية ٩٦

(٦٢) سورة آل عمران /١٠٢

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من احد) وقد بين الله تعالى أن التقوى خير لباس، قال تعالى: (... ولباس التقوى ذلك خيرٌ..)(٦٣).

قال الشاعر:

اذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
تقلب عرياناً ولو كان كاسياً

فخير خصال العبد طاعة ربه
ولا خير فيمن كان لله عاصياً

إن تقوى الله، تتناول العقائد والعبادات والآداب وسائر الاعمال الصالحة، فاذا تمكن الأيمان من القلب ورسخت جذوره في أعماق النفس، أثمر حالة من الحالات التي وهبها الله الى الانسان، فينبعث الى الخير وينصرف عن الشر، لأن تقوى الله هي مخافة الله والعمل بوصاياه مما يحمي النفوس ويوحد القلوب. وتجعل الأمة كتلة متراصة. بينما المعاصي والذنوب تضعف الأجسام وتخمد النشاط، لأن المعاصي وليدة الشهوات، والشهوات تقوم على الأنانية وحب الذات والاستعلاء والاستئثار بالمنافع مما يولد الحسد والضغينة بين الافراد.

---

(٦٣) سورة الاعراف /من الآية ٢٦

يقول الله تعالى في صفة المتقين: (ليس البَر أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب، ولكنّ البرَ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)(٦٤).

وقال عز وجل: (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض أُعدت للمتقين، الذين ينفقون في السّراء والضرّاء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين اذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ اللهُ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)(٦٥).

وقال تعالى في صفة المتقين وما أعدّ لهم من النعيم المقيم جزاء ما عملوا في حياتهم: (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنينً. كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون. وفي أموالهم حقٌ للسائل والمحروم)(٦٦)

---

(٦٤) سورة البقرة /١٧٧

(٦٥) سورة آل عمران /الآيات من ١٣٣-١٣٥

(٦٦) سورة الذاريات /الآيات من ١٥-١٩

ويقول عز من قائل في صفة إتصاف المتقين بالعدل: (إعدلوا هو اقرب للتقوى)(٦٧).

ويقول سبحانه بخصوص العفو: (وأن تعفوا أقربُ للتقوى)(٦٨) ويقول الله تعالى في الحض على الوفاء بالعهد: (بلى من أوفى بعهده وأتقى فان الله يُحبُ المتقين)(٦٩).

فهذه الصفات التي وصفها الله بها المتقين في مجموعها في كتابه الكريم، لا يصل اليها إلاّ مَن راضَ نفسه على ترك الشهوات والشبهات، وجاهدها في ذات الله حتى تذوق حلاوة الايمان.

يقول الرسول الكريم محمد صلى الله علية وسلم: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس)(٧٠) كما أن المتقي أقرب منزلة الى الله تعالى، قال تعالى:

(إن اكرمكم عند الله اتقاكم)(٧١).

فان اكرم واتقى من صيغ التفضيل. فهي فوق ان يقال (كرامكم المتقون) ولما كانت التقوى مصدر كل خير، وأصل كل صلاح للفرد والجماعات، فان الله أمرنا بالتزود بها، قال سبحانه: (وتزودوا فانّ خير الزاد التقوى واتقون

---

(٦٧) سورة المائدة /٨

(٦٨) سورة البقرة/٢٣٧

(٦٩) سورة آل عمران /٧٦

(٧٠) رواه الترمذي

(٧١) سورة الحجرات /١٣

ياأولي الالباب)(٧٢) فالاتقياء هم الذين يفيض الله عليهم من نوره. ليدركون به الحق، ويميزون بين ما يجب فعله من الخير، وما يجب تركه من الشر.وقد وعدهم الله تعالى

أن يهديهم الى إتباع الحق، ويوفقهم الى الخير، يقول عز من قائل : (ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (٧٣) أي يجعل لكم نورا في قلوبكم تفرقون به بين الشبهات. وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب... ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)(٧٤). فالله تعالى يخرجه من كل أمراً شكل على الناس ويرزقه من حيث لا يعلم. إنه إلهام وتوفيق من لدن الخبير العليم. وقال عز شأنه : (ومن يتق الله يُكفر عنه سيئاته ويعظم له أجره)(٧٤). روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا مر بهذه الاية : (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) وقف ثم قال : (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها).

فأن المتقين لا يتعرضون للشكوك والريب، واذا أصابهم

---

(٧٢) سورة البقرة /١٩٧

(٧٣) سورة الانفال/ ٢٩

(٧٤) سورة الطلاق /الآيات من٢-٥ ,

منها شئ أو مسهم طائف من الشيطان، فسرعان ما تبددها أضواء الحق واليقين. يقول الله تعالى : (إن الذين أتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (٧٥).

هكذا المتقون، إنهم أولياء الله تعالى، يكلؤهم برعايته ويحميهم ويحفظهم من كل سوء، فهم دائما موضع نظر الله سبحانه وتعالى. يقول تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)(٧٦). وقال تعالى : (إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر)(٧٧).

(ب) المجاهرة بالذنب من الطغيان :

على الانسان ان يستر نفسه في الدنيا فلا يجهر بما يفعل من سيئات ومعاصي لأن إظهار الفاحشة فاحشة آخرى، حيث ستشبع الفاحشة بين الناس والله لا يحب الجهر بالسوء من القول أوالفعل.

إن المجاهرة بالذنب من الطغيان، فقد روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل أمتي مُعافى إلاّ المجاهرين، وانّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد ستره الله تعالى عليه، فيقول: يافلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه،

---

(٧٥) سورة الاعراف/ ٢٠١ ،

(٧٦) سورة النحل/ ١٢٨ ،

(٧٧) سورة القمر/الايتان ٥٤ و ٥٥ ،

ويُصبحُ يكشفُ ستر الله عليه).

على أنه يُبَاح له أن يُخبر بمعصيته من يعينه على الخلاص من تلك المعصية، أو يعلمه ما يسلم به من الوقوع في مثلها.

وجاء الحديث عن بلال بن سعد انه قال: (الخطيئة اذا خُفيتْ لم تضر إلاّ صاحبها، وانْ ظهرت فلم تغيّر - ضرت العامة) (أخرجه أبن حزم في تراجم الصحابة). وذلك لتركهم ما لزمهم وما وجب عليهم من التغيير والإنكار على من ظهرت منه الخطيئة.

ج - الصبر:

ان الله قد ربط فضيلة الصبر بالتقوى في مواضع عديدة في القرآن. قال تعالى: (انه منْ يتق ويصبر فأن الله لا يُضيع أجر المحسنين)(٧٨)

وقال تعالى: (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين)(٧٩). فاشترط الصبر والتقوى على الأمداد.

وقال تعالى: (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم...)(٨٠).

ان التقوى والصبر معنيان. أحدهما منوط بالآخر، لا يتم كل واحد منهما الا بالآخر، فمن كانت التقوى مقامه، كان

---

(٧٨)سورة يوسف /٩٠

(٧٩) سورة آل عمران /١٢٥

(٨٠) سورة آل عمران /١٢٠

الصبر حاله.

معنى الصبر: حبس النفس عن السعي في هواها. وحبسها ايضاً ومجاهدتها لمرضاة مولاها بمثل ما يوجب المجاهدة، وصبرها كذلك على حسن الأدب في المعاملة وتطهير القلب من خطرات الهوى ونزعات الأعداء وتزيين الدنيا، وكف الجوارح.

ومن الصبر: حبس النفس على الحق، وعكوفها عليه، وصبرها على القناعة ومن الصبر: كف الأذى عن الناس.

ومنه الصبر على الأنفاق وإعطاء أهل الحقوق حقوقهم. ومنه الصبر على الأذى توكلاً على الله، قال تعالى: (وما لنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سُبلنا ولنصبرنّ على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (٨١).

ان الصبر أشق شيء على النفس، وأكرهه وأمَرُّه على الطبع وأصعبه، فيه الألم والكظم عند الذل والحلم، وفيه التواضع والكتم، وفيه الأدب وحسن الخلق، وبه يكون كف الاذى عن الناس، وإحتمال الأذى منهم.

فهذه من عزائم الأمور التي يضيق منها أكثر الصدور، وفيه إكراه النفوس وحملها على الشدة وتحمل الصعاب.

فأن أفضل الأعمال ما أُكرهت عليه النفوس، ولأجله اشترط الله تعالى على المتقين والصادقين، الصبر في الشدائد والمكاره وحقق بالصبر وتقواهم. قال تعالى: (والصابرين في الباساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك

---

(٨١) سورة ابراهيم /١٢

هم المتقون). (٨٢)

وفي حديث ابن المنكدر عن جابر قال سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال: (الصبر والسماحة).

وقال السيد المسيح عليه السلام: (انكم لا تدركون ما تحبون إلاّ بصبركم على ما تكرهون).

وقال الأمام علي رضي الله عنه: (الصبر من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد، لا جسد لمن لا رأس له، ولا ايمان لمن لا صبر له).

ان الصوم نصف الصبر، حيث أن الصوم جُنةٌ وحصن لعباد الله، ذلك أنّ وسيلة الشيطان الى قلوبهم هي الشهوات المستكنة، وانه يقمعها، فتصبح النفس مطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصّمها. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: انما يذرُ شهوته وطعامه وشرابه لأجلي، فالصوم لي وانا أجزي به) ولذا فأن جزاء الصابرين بغير حساب. قال الله تعالى: (انما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (٨٣).

إن الله تعالى مع الصابرين، قال تعالى: (... ان الله مع الصابرين)(٨٤).

وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

---

(٨٢) سورة البقرة /من الآية ١٧٧

(٨٣) سورة الزمر /١٠

(٨٤) سورة الانفال /٤٦ (جزء من الآية)

(د) إحتمال الأذى في سبيل الله والصبر عليه من الايمان:ـ

ان احتمال الاذى في سبيل الله والصبر عليه من الايمان، قال تعالى: (ومِنَ الناس مَنْ يقولُ آمنا بالله، فاذا أُوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله)(٨٥). أي أذى الناس واضطهادهم، فانه ليس عذاباً من الله، انما هو اختبار وابتلاء ليصبر، قال تعالى: (فأما الأنسان اذا ما أبتلاه ربه فأكرمه ونعمّه فيقول ربي أكرمين. وأما اذا ما أبتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن. كلا..٩ (٨٦). قوله تعالى: (كلا)ردّ أي ليس الأمر كما يُظن. فليس الغني لفضله، ولا الفقير لهوانه، وانما الفقر والغنى. من تقدير الله وفضائله، فينبغي على العبد ان يحمد الله على الغنى والفقر، فيحسن ويتصدق من مال الله الذي أعطاه، والفقير يصبر على الفقر ولا يتجاوز الحدود لأجل الحصول على شيء حرام.

وفي الحديث: (يقول الله تعالى: (كلا اني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهين من أهنت بقلتها، انما أكرم من أكرمتُ بطاعتي، أو أهين من أهنت بمعصيتي).

انه ابتلاء، فالأول يشكر ويحسن، والآخر يصبر.

قيل لسفيان الثوري رضي الله عنه: ما أفضل الاعمال قال الصبر عند الابتلاء. وقال بعض العلماء: وأي شيء أفضل من الصبر، وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعاً.

---

(٨٥) سورة العنكبوت /٧

(٨٦) سورة الفجر /١٥، ١٦

إن النعم ملائمة للطبع موافقة للنفس، لا يحتاج معها الى كد النفس بالصبر عليها، ولا حملها على المشقة بالرضا فيها، بينما البلاء مباين للطبع، تنفر منه النفس، فيحتاج الى حمل عليه ومشقة فيه، ولا سبيل اليه إلاّ بسكينة من الله تعالى، والصبر عليه بقوة من الله وعنايةبه.

فالمؤمن في حرز بعقيدته يستطيع بها أن يتكيفَ مع الأحداث، حلوها ومرها، ويجد في التكييف سكينة النفس وإطمئنان القلب.

(هـ) العدل في القصاص والصبر عليه:ـ

قال الله تعالى: (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به ولئِنْ صَبرتُم لهو خيرٌ للصابرين)(٨٧).

يأمرنا الله تعالى بالعدل في القصاص والمماثلة في استيفاء الحق وأنْ لا نتجاوز. ولكن الندب الى الفضل والعفو والصفح أقرب لرضا الله تعالى. كما قال تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)(٨٨).

وكما قال: (والجروح قصاص) وقال أيضاً (فمن تصدّق به فهو كفارةٌ له)(٨٩) ولذا قال سبحانه: (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) ثم قال سبحانه: وأصبر وما صبرك الاّ بالله)(٩٠) أنه تأكيد للأمر بالصبر، حيث أن الله سبحانه

---

(٨٧) سورة النحل /١٢٦

(٨٨) سورة الشورى /من الآية ٤٠

(٨٩) سورة المائدة /من الآية ٤٥

(٩٠) سورة النحل /١٢٧

وتعالى قد اختار لنا الصبر. وأن هذا لا يتم إلاّ بمشيئته وإعانته وحوله وقوته، فانه تعالى (مع الذين أتقوا والذين هم محسنون) (٩١). إنه معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وهذه المعية هي (معية) خاصة: (إن الله مع الذين اتقوا) بتركهم المحرمات وبطاعتهم (والذين هم محسنون) بأحسانهم وفعلهم الحسن فهولاء يحفظهم الله ويكلؤهم ويؤيدهم وينصرهم. (اللهم اجعلنا معهم!)

ثانياً: خشية الله:

الخشية: هي الخوف. وان الخوف من الله تعالى يكون: إما من معرفة جلاله واستشعار عظمته وكبريائه، وكلما كانت المعرفة في الانسان أتم، كان أشد خوفاً من الله وأعظم خشية. قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)(٩٢).

واما ان يكون سببه ما اقترف الانسان من آثام فهو يخشى ان يؤاخذه الله بما اكتسب منها.

ومن آثار الخوف من الله تعالى انه يمنع الانسان من الاسترسال في المعاصي والآثام. ويجنبه الوقوع في الفسوق، ويوقفه من الاندفاع الى الشر.

وان الخوف من الله تعالى يخلق في الانسان الضمير الحي الذي يصحب الانسان في كل اعماله، ويسمو بالنفس الى فعل كل خير. ويبعث في الانسان الشجاعة.

ويدفعه الى الجهر بالحق دون تهيب من أحد، فالخائفون

---

(٩١) سورة النحل /١٢٨

(٩٢) سورة فاطر / من الآية ٢٨

من الله تعالى، هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنة، قال تعالى: (فذكّرْ إنْ نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى)(٩٣).

ويخبرنا الله تعالى عن صفة المؤمنين المخلصين الذين لا يبغون دنيا، سوى كتاب الله وشريعة رسوله. بقوله تعالى: (انما كان قول المؤمنين اذا دُعُوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون. ومن يُطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقْهِ فأولئك هم الفائزون)(٩٤).

وقال الله تعالى: (انّ الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير)(٩٥). فالذي يخاف مقام ربه فيما بينه وبين ربه، دون ان يعلم أحدٌ من الناس، فيبتعد عن المعاصي، ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه إلاّ الله، قال عنه الله تعالى بان له المغفرة والاجر الكبير. وأنّ الله تعالى يجازيه الجزاء الأوفى، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (سبعةٌ يظلهم الله في ضله يوم لا ضل إلا ضله - فذكر منهم رجلاً دعته أمرأة ذات منصب وجمال، فقال اني اخاف الله)(٩٦). لأن الله تعالى يعلم السر

---

(٩٣) سورة الاعلى /٩ و ١٠

(٩٤) سورة النور /٥٦ و ٥٧

(٩٥) سورة الملك /١٢

(٩٦) والحديث بتمامه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (سبعة

والعلانية، وانه تعالى مطلع على الضمائر والسرائر. وبما يخطر في القلب. قال تعالى: (وأسروا قولكم أو أجهروا به انه عليمٌ بذات الصدور)(٩٧) فالذي يخاف ربه له اجر عظيم. قال تعالى: (ولِمنْ خافَ مقام ربه جنتان)(٩٨) فمن يخاف مقام ربه وينهى النفس عن الهوى. ولم يطغَ ولا يؤثر الحياة الدنيا، ويعلم أنَّ الآخرة خير وابقى وهي دار القرار، ويؤدي فرائض الله، ويجتنب محارمه، فله يوم القيامة جنتان.

ان الخوف من الله تعالى يجعل الانسان متصلاً بربه في كل وقت، ولذا فلا سبيل لهوى نفسه عليه، لان قلبه مملوء بالخوف من الله. وأنه يخاف حكم الله فيه، فهو ينهي نفسه عن هواها، ويردها الى حكم مولاها،وقد جعل الله له الجنة هي الجزاء. قال تعالى: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)(٩٩). وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (رأس الحكمة

يضللهم الله في ضله يوم لا ضل إلا ضله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله أجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته أمرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)

(٩٧) سورة الملك /١٣

(٩٨) سورة الرحمن /٤٦

(٩٩) سورة النازعات /٤٠ و ٤١

مخافة الله) فان الذين يخشون ربهم هم الابرار، بل هم خير البرية. الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بابدانهم وجوارحهم، وأتقوا الله حق تقاته، وعبدوه مخلصين له الدين كأنهم يرونه، فان لم يكونوا يرونه فأنه يراهم.

قال تعالى: (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جناتُ عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)(١٠٠).

هذا الجزاء حاصل لمن خشي ربه.

ثالثاً: ذكر الله تعالى:

١ـ ماهية ذكر الله:

هي مراقبته ودوام الاتصال به، وضده الغفلة عن الله تعالى. ومن انواع الذكر تسبيح الله وتمجيده، قال الله تعالى: (فادكروني ادكركم)(١٠١) أي اذكروني بالصلاة والتسبيح، اذكركم بنعمتي ورحمتي.

ومن انواعه الدعاء، فان الدعاء هو مخ العبادة (أي خالصها) يقول الله تعالى: (واذا سألك عبادي عني فأني قريب أجيب دعوة الداعِ اذا دعاني)(١٠٢).

وقد حث الله تعالى على الذكر في قوله سبحانه: (ياأيها

---

(١٠٠) سورة البينة /٧ و ٨

(١٠١) سورة البقرة /١٥٢

(١٠٢) سورة البقرة /١٨٦

الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بُكرة وأصيلاً)(١٠٣). والانسان المخلص يذكر الله على الدوام مع حضور القلب، لم يجعل الله له حداً ينتهي اليه (بُكرة وأصيلاً)، بحيث لا يغفل عن ذكر الله لحظة واحدة، وكما قال تعالى: (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)(١٠٤) في الليل والنهار، في البر والبحر والجو، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسقم، في السر والعلانية، قال تعالى: (وأذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين)(١٠٥).

روى الأمام أحمد والترمذي من حديث الحارث الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (.... وآمركم ان تذكروا الله، فأنّ مثلَ ذلك كمثل رجل خرج العَدُو في أثره سراعاً حتى أذا أتى حصنا حصيناً فأحرز نفسه منهم، كذلك العبدُ لا يحرزُ نفسه من الشيطان الا بذكر الله.. بقية الحديث).

فحقيق على العبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله. فانه لا يحرز نفسه من عدوه إلاّ بالذكر. فان الشيطان جاثم على قلب

---

(١٠٣) سورة الاحزاب /٤١ و ٤٢

(١٠٤) سورة النساء /١٠٣

(١٠٥) سورة الاعراف /٢٠٥

(١٠٦) سورة الرعد /٢٨

إبن آدم. فاذا سهى وغفل وسوس له. فاذا ذكر الله خنس، وكفّ وإنقبض عنه، في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقعد قومٌ يذكرون الله تعالى إلا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) ان الرحمة تعمهم، ونزول السكينة عليهم بسكون قلوبهم وإطمئنان نفوسهم، وهي حالة يطمئن بها القلب فيسكن عن الميل الى الشهوات وعن الرعب، قال تعالى: (الا بذكر الله تطمئن القلوب)(١٠٦).

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل الذي يذكر ربهُ والبذي لا يذكر ربه مثلُ الحي والميت) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحبُ الى الله عز وجل. قال: (أن تموت ولسانك رطبٌ من ذكر الله عز وجل)

وروى الأمام أحمد عن عبد الله بن بشير قال: جاء أعرابيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: يارسول الله، أي الناس خير؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ طالَ عُمره وحسن عمله)

وقال الآخر: يارسول الله إنّ شرائع الأسلام قد كثرت علينا فمرني بأمر أتشبث به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال لسانك رطباً بذكر اله تعالى). معنى أتشبث

---

(١٠٦) سورة الرعد/٢٨

به: أتعلق به وأستمسك به. فأن رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه عبارة عن ضده، ثم ان جريان اللسان عبارة عن بمداومة الذكر، فكأنه (صلى الله عليه وسلم) قال: (داوم الذكر).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أفضل الذكر: لا إله إلاّ الله)(١٠٧)

وقال أبو الدرداء: (لكل شيء جلاءٌ. وأن جلاء القلوب ذكرُ الله عز وجل). ولا ريب أنّ القلب يصدأ، وجلاؤه بالذكر. إنّ صدأ القلب يكون بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاءه بشيئين: بالاستغفار والذكر. فمن كانت الغفلة به أغلب أوقاته، كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصداه بحسب غفلته، واذا صدأ القلب، لم تظهر عليه المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق. والحق في صورة الباطل، فلا تظهر فيه صور الحقائق. لتراكم الصدأ على قلبه، فأصل ذلك في الغفلة وإتباع الهوى. فأنهما يطمسان نور القلب ويعميان البصر. قال تعالى: (ولا تُطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فُرطاً)(١٠٨).

وقد فسر الفُرط: بالتضييع والأسراف، قال تعالى: (فأعرض عن منْ تولى عن ذكرنا ولم يُردْ إلاّ الحياة الدنيا)(١٠٩)

---

(١٠٧) رواه الترمذي وابن ماجة

(١٠٨) سورة الكهف /٢٨

(١٠٩) سورة النجم /٢٩

(ب)- فوائد الذكر:

ففي ذكر الله فوائد كثيرة وعظيمة، منها:

ذكر الله يرضي الرحمن عز وجل.

وذكر الله يجلب للقلب الفرح والسرور والأطمئنان. قال تعالى: (الا بذكرالله تطمئن القلوب)(١١٠).

وذكر الله يزيل الهم والغم عن القلب.

وذكر الله يقوي القلب والبدن، وينور الوجه والقلب.

وذكر الله ومراقبته يجلب الرزق.

وذكر الله يُكسي الذاكر المهابة والنصر.

وذكر الله يورث المراقبة حتى يدخله في باب الاحسان فيعبد الله كأنه يراه

وذكر الله يورث الانابة وهي الرجوع الى الله تعالى.

وذكر اللع يفتح للذاكر باباً من أبواب المعرفة.

وذكر الله يُبصر الانسان اذا نسي فيتذكر، قال تعالى: (وأذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً)(١١١)

وذكر الله يورث القرب من الله تعالى، فعلى قدر ذكره لله تعالى يكون قربه منه.

وذكر الله يُورث ذكر الله للذاكر قال تعالى: (فاذكروني اذكركم)(١١٢)

---

(١١٠) سورة الرعد /٢٨

(١١١) سورة الكهف /٢٤

(١١٢) سورة البقرة /١٥٢

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه اذا ذكرني، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. وانْ ذكرني في ملأ، ذكرته في ملاءٍ خيرٍ منهم).

وذكر الله قوت القلوب والروح، بل إنه حياة للقلب.
وذكر الله منجاة من عذاب الله.
وذكر الله سبب نزول السكينة وغشيان الرحمة.

إن العبد اذا تعرّف الى الله بذكره في الرخاء. عرفه الله عز وجل في الشدة. وذكر الله سبب امنع اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش، فمن عوّد لسانه ذكر الله، صان اللّه تعالى لسانه عن الباطل واللغو.

روى الترمذي عن أبي عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله، فأن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب. وإنّ أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي) فان ذكر الله يذهب قسوة القلب.

ان الذكر نور للذاكر في الدنيا. ونور له في قلبه، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب ولا القبور بمثل ذكر الله عز وجل. قال الله تعالى:

(أو مَنْ كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في

الناس كَمَنْ مثلهُ في الظلمات ليس بخارج منها)(١١٣).

فالأول هو المؤمن استنار بالايمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن، ذكر الله تعالى.

ان دوام ذكر الله تعالى يوجب الأمان من نسيانه، فان نسيان الرب تعالى، يوجب نسيان نفسه ومصالحها. قال تعالى: (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)(١١٤). فمن نسي الله تعالى أنساه الله نفسه في الدنيا ونسيه الله في العذاب يوم القيامة. قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فأنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال ربِّ لما حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى)(١١٥). وهكذا عكس أهل السعادة والفلاح. فأن حياتهم في الدنيا أطيب حياة، وفي البرزخ، ولهم في الآخرة أفضل الثواب، قال تعالى: (مَنْ عمل صالحاً منْ ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة)(١١٦). فهذا في الدنيا. ثم قال تعالى: (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) فهذا في البرزخ والآخرة.

إن ذكر الله يُذهب عن القلب مخاوفه، فليس للخائف الذي أشتد خوفه أنفع من ذكر الله. وذكر الله يطرد الشيطان ويقمعه.

---

(١١٣) سورة الانعام /١٢٢

(١١٤) سورة الحشر /١٩

(١١٥) سورة طه /الآيات ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦

(١١٦) سورة النحل /٩٧

ان كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق. فان المنافق قليل الذكر لله عز وجل، قال الله تعالى في المنافقين: (ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً)(١١٧) وقال الله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا لا تُلهكم ولا أموالكمولاأولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن

يأتي احدكم الموتُ فيقول ربِّ لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق واكن من الصالحين)(١١٨). فأن ذلك تحذير من الاشتغال والغفلة عن ذكر الله.وتأدية الصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبود.

(ج) حكمة الصلاة:

فأقامة الصلاة التي هي عماد الدين، فمن اقامها فقد أقام الدين. ومن تركها هدم الدين [illegible] مفروضة ومكتوبة على المؤمنين. قال تعالى: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)(١١٩).

فمن ادأها على أكمل الوجوه وفي أوقاتها فهذا دليل على ما في قلبه من حب الله وذكره، بينما الأعراض عنها والتكاسل والتباطوء عنها،آية ودليل على فراغ القلب من حب الله. كان في ماكتبه الخليفة أبو بكر الصديق

---

(١١٧) سورة النساء /١٤٢
(١١٨) سورة المنافقون/٩ و١٠
(١١٩) سورة النساء/من لآية ١٠٣

رضي الله عنه لعماله: (ؤاعلموا أن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن ضيّعها فهو لغيرها أضيع).

لأن الصلاة وما فيها من إقرار لله بالربوبية، وما تشتمل عليه من خضوع لله تعالى من قيام وركوع وسجود، هي ترويض للنفس وإذلال لكبريائها، وجعلها طيعه لقبول الأوامر الألهية والعمل بها.

فهي تمهد النفس وتعدها إعدادا خاصة لتصبح قادرة على التخلي عن أنانيتها وشحها وجشعها، وبذلك تهدأ النفس وتجعلها تشعر بفيض من السعادة فتجدد قواها.

فالذي ينشغل عنها، باللهو قال الله عنه: (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) لأنهم باعوا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية.

ثم قال تعالى: (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموتُ) فالأنفاق يشمل الصدقة والزكاة والحج. فقد روى الترمذي أن أبن عباس رضي الله عنهما قال: من كان له مالٌ يبلغه حج بيت ربه، أو نجبُ عليه فيه الزكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت: وتلا هذه الآية: (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي احدَكم الموتُ فيقولَ ربِّ لولا اخرتني الى أجلٍ قريب فأصدقَ وأكن من الصالحين).

(د) حكمة الزكاة

فالزكاة مواساة، لانها تؤخذ من الاغنياء لترد الى الفقراء والمحتاجين. وهي من محاسن الاسلام الذي جاء بالمساواة والتراحم والتعاطف والتعاون، وقطع دابر كل شر يهدد الفضيلة والأمن والرخاء. وتدجعلها الله طُهرة لصاحبها من

رذيلة البخل. وتنمية حسبة ومعنوية من آفة النقص. ومساواة بين خلفه بما خولهم من مال، وأعانة من الاغنياء لأخوانهم الفقراء والمحتاجين. وتحقيقا للسلام، وتأليفا للقلوب، وجمعاً للكلمة، حينما يجود الأغنياء على الفقراء بنصيب من أموالهم.

(هـ) وحكمة الحج:

حكمته غفران الذنوب، ونفي الفخر، والمساواة بين الناس، والتعارف بينهم، والعطف على أهل الحرمين الشريفين إجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: (فأجعل افئدة من الناس تهوي اليهم)(١٢٠).

ونذكر البعث بالتجرد من الملابس وتذكر الوقوف بين يدي الله تعالى بوقوفهم في عرفة يبتهلون الى الله تعالى بالتلبية ويرجون عفوه ورضاه.

(و) أنواع الذكر:

الذكر على أنواع: منها ما يكون بالقلب واللسان وذلك أفضل الذكر. وبالقلب وحدُه تارة، وباللسان وحدُه تارة اخرى. فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان.وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده، لأن ذكر القلب يُشعر بالمعرفة، ويهيج المحبة ويبعث على المخافة، ويدعو الى مراقبة الله، ويروع عن التقصير في الطاعات وعن التهاون في المعاصي والسيئات. قال الله تعالى: (فأذا قُضيت

---

(١٢٠) سورة ابراهيم/٣٧

الصلاة فأنتشروا في الارض وأبتغوا من فضل الله وأذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)(١٢١). فأن الذكرعندما يكون في القلب يوجب مراقبة الله تعالى في الأعمال والبيع والشراء وقضاء الحاجات.

(ز) محبة الله تعالى:

إن ذكر الله يورث المحبة التي هي روح الأسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جُبلت القلوبُ على حُب مَن أحسنَ إليها).

ان الله هو المحسن، فيجب أن نشكره على إحسانه ونعمه التي لا تحصى. ابتداءً من نعمة الوجود الى إستمرار الحياة وانتهائها باللحظة التي نفارق فيها الحياة. قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لاتُحصوها)(١٢٢) وقال عز من قائل.(ومالِيَ لا أعبدُ الذي فطرني وإليه تُرجعون)(١٢٣). وقال سبحانه: (وما بكم من نعمة فمن الله)(١٢٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لُحب الله إياي).

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأله أبو رزين العقيل: يارسول الله. ما الأيمان؟ قال: (أن يكون الله ورسوله أحبَّ اليك مما سواهما). وفي

---

(١٢١) سورة الجمعة/١٠

(١٢٢) سورة ابراهيم/٣٤

(١٢٣) سورة ياسين/٢٢

(١٢٤) سورة النحل/٥٣

حديث آخر: (لايؤمن العبد حتى أكونَ أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين) وفي رواية زيادة (ومن نفسه).

وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لايؤمن أحدُكم حتى يكون اللهُ ورسولهُ أحبَّ اليه مما سواهما).

وفي الخبر أن ابراهيم الخليل عليه الصلا والسلام، قال لملك الموت حين جاء ليقبض روحه: (هل رأيتَ خليلا يُميتُ خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: (هل رأيت مُحبا يكرهُ لقاء حبيبه؟

فقال: (ياملك الموت. الآن فاقبض!).

وهذا لايجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه. فأذا علم أن الموت سبب اللقاء مالَ قلبه إليه. ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه.

قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دُعائه(اللهم أرزقني حُبك وحُبَّ من أحبكَ، وحبَّ مايُقربني الى حبك، وأجعل حُبك أحبَّ الي من الماء البارد)

وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله، متى الساعة؟ فقال: (ماأعدَدْتَ لها؟) فقال: ماأعددتُ لها كثير صلاة ولا صيام، إلاّ أنني أحبُّ الله ورسوله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرءُ مع مَنْ أحبّ).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (مَنْ ذاقَ من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا، وأوحشه عن جميع البشر). وقال هرم بن حيان: المؤمن أذا عرف ربه

عز وجل أحبه، وأذا أحبه أقبل اليه، وأذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدقيا بعين الشهوة، ولم ينظر الى الآخرة بعين الغفلة؟وهي تحسّره في الدنيا وتروحه في الآخرة.

أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، ولا يزال ابن آدم يجري ورائها في جشع فتستعبده الى أن يهلك.

فالمؤمن يستعبد الدنيا فتذل له، فيتخذها مطية للآخرة،أما غير المؤمن فينظر الى الدنيا وما أوتي فيها، نظرة أخرى، إن حساباته في السير في الدنيا قد بناها على أساس خاطيء. أذ هو لايرى وراء حياته شيئا آخر، لذلك همه جمع المال من أي طريق كان– من الحلال والحرام–والتنعم به.

روي بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال(إن الله عز وجل يقول: أنا أنزلنا المال لأقامنه الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لأبن آدم وادٍ من ذهب لأحب أن يكون له ثان. ولو كان له ثان لأحب ان يكون له ثالث. ولا يملأ جوف أبن آدم إلاّ التراب، ويتوب الله على من تاب).

فالمقياس الصحيح قوله تعالى: (ومَنْ يُوقَ شُحَ نفسه فاولئك هم المفلحون)(١٣٥) فُحب الجاه والرياء والكبر والعُجب والغرور كلها من الآفات التي يجب ان يتخلى عنها المؤمن إذا اراد أن يخلص لله نيته وقصده.

---

(١٢٥) الآية وردت في سورة الحشر/٩ وفي سورة التغابن/١٦

أما محبة الله فأنها الغاية القصوى والذروة العُليا من الدرجات. ومن ثمارها: الشوق، والانس، والرضا، والاطمئنان. قال تعالى: (. . . والذين آمنوا أشدُ حُبا لله)(١٢٦).

إن الحُبَ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرضٌ. والذي يحب يطيع، حيث ان الطاعة تبع الحب وثمرته، فلابد وأن يتقدم الحب، ثم بعد ذلك يطيع من أحب.

قال الله تعالى: (قُل إنْ كنتم تُحبون الله فأتبعوني يُحببكم اللهُ ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌرحيم. قُلْ أطيعوا اللهَ والرسولَ فأن تولوا فأن الله لايُحب الكافرين)(١٢٧).

هذا هو الاساس، لأن يعرفَ الانسانُ بأنه محب لله، يرى نفسه، هل أن حالهُ تبعاً لما جاء به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. فان طاعة الله ورسوله دليل على محبة الله والرسول صلى الله عليه وسلم. وهي دليل الايمان.

(ح) طاعة الله ورسوله واتباع ماجاء به.

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدجاء بالحق وصّدق المرسلين. وهذا الحق يشمل الايمان والاسلام، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، والاستقامة والتقوى، وهذه أمور جامعة لا يبقى بعدها إلا تفاصيلها.

فمن أهتدى، فهو على نور من ربه، فهو يطيع الله ورسوله عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما،

---

(١٢٦) سورة البقرة /من الآية ١٦٥

(١٢٧) سورة آل عمران /٣١،٣٢

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به).

معاشر المؤمنين: إن من يتبع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، هو المؤمن الحق، وان حبه وبغضه ورغبته وهواه يكون تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لأن من أحب شيئاً أتبعه هواه، ومال عن غيره إليه. ان المأمور بالشيء قد يفعله اضطراراً، وان الهوى يميل بالأنسان بطبعه الى مقتضى هواه.

فمن كان هواه تابعاً لجميع ما جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، كان

مؤمنا حقا. وضده من أعرض عما جاء به فهو الكافر.

فالنجاة لا تحصل الا بالايمان كما جاء به الوحي والاحتكام الى الاسلام كلا بلا تجزئة. وبدون ذلك. فلا عبرة باتباع البعض وترك البعض قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)(١٢٨).

أقسم سبحانه وتعالى بنفسه المقدسة، قسما مؤكدا بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله الكريم في كل ما شجر بينهم من الاحكام. ولم يثبت لهم الايمان بمجرد التحكيم. بل يجب أن يذهب وينتفي عنهم الحرج (وهو ضيق الصدر) بحيث تنشرح أنفسهم لحكمه كل الانشراح. وتقبله كل القبول. ويضاف اليه ايضا الرضا والتسليم بهذا الحكم. إذ يجوز ان ينقاد المرء الى الحكم ولكن قد لا

(١٢٨) سورة النساء/٦٥

يرضى ولا يطمئن قلبه به. بل ولا يسلم به. فهذه الامور الثلاثة الرضا بالحكم، وعدم الحرج بأنشراح الصدر والتسليم، تدل دلالة أكيدة على الأيمان.

وإنشراح الصدر أوضحه الرسول سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام، عندما تلا قوله تعالى : (فمن يُرد اللهُ أن يهديه يشرح صدره للأسلام)(١٢٩). فقيل له ما هذا الشرح، فقال : (إن النور إذا قُذف في القلب إنشرح له الصدر وأنفسح) قيل فهل لذلك من علامة، قال : (نعم، التجافي عن دار الغرور. والأنابة الى دار الخلود، والأستعداد للموت قبل نزوله)(١٣٠).

رابعا : حُسن الخُلق :

أ. معنى الخلق :

يُراد بالخلق (بفتح الخاء) الصورة الظاهرة وهي الجسد المدرك بالبصر. ويراد بالخلق (بضم الخاء) الصورة الباطنة، وهي الروح والنفس المدركة بالبصيرة. وقد عرف الخلق بأنه : هيئة في النفس راسخة، منها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية). فأذا كانت الهيئة التي تصدر عنها افعالا جميلة ومحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة (خلقا حسنا). وإن كان الصادر عنها أفعالا قبيحة مذمومة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة (خلقا سيئا).

---

(١٢٩) سورة الانعام/١٢٥

(١٣٠) رواه الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود

إن الله سبحانه وتعالى قد فطر الناس جميعا على الاعتقاد به والايمان به وتوحيده وتقديسه، وإن الانسان ربما ينحرف عن الطريق السوي نتيجة التربية السيئة او التوجيه السئ، فاذا إستمر في انحرافه فلا بد أن يتمسك بالعادات والاعمال التي إعتاد عليها، وستتولد عنده مفاهيم جديدة بحيث يخلط الحق بكثير من الباطل، فمن يعيده الى الطريق المستقيم.

إن الله سبحانه وتعالى قد رحم عباده بارساله الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لتوجيه الناس الى الشرائع والافعال التي يرضاها سبحانه للناس، وقد ختم تلك الشرائع والرسالات برسالة الاسلام وبخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ارسله الله رحمة للعالمين. قال تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)(١٣١).

الرسول الكريم، الرحمة المهداة، الذي قال في الحديث الذي رواه الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه : (إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق).

وأخرج إبن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه وقال : (يا ايها الناس إن الله إختار لكم الاسلام دينا، فأحسنوا صحبة الاسلام بالسخاء وحسن الخلق).

وجاء في تفسير قوله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف

---

(١٣١) سورة الانبياء/١٠٧.

وأعرض عن الجاهلين)(١٣٢). أن سيدنا جبريل عليه السلام قال لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : (إن الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك) وروى مسلم والترمذي عن النواس بن سمعان الانصاري رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والأثم فقال : (البر حسن الخلق، والأثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس.

فالبرُ إسم جامع لكل خير، تأتي الكلمة بمعنى حُسن الخلق، وتأتي بمعنى حسن العشرة، وبمعنى اللطف، وبمعنى الطاعة، وبمعنى الصلة، وبمعنى التقوى.وقيل هي فعل الواجبات والبعد عن المحرمات، وقيل هي البشاشة مع الناس والأحسان إليهم.

كما أن الأثم أسم جامع لكل شر، وإذا أطلق دخل فيه كل ذنب. قيل للحسن البصري : ما حُسن الخلق، قال : (بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه).

وبذلك أصبح الحسن من الاخلاق هو ما حسنه الشرع وأمر به، والسيء من الاخلاق : هو ما نهى عنه الشرع وأمر بالابتعاد عنه وتركه. وقد ذكْر سبحانه وتعالى في سورة الشورى بعضا من أوصاف المؤمنين المتصفين بالاخلاق الحميدة، قال سبحانه : (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش واذا ما

---

(١٣٢) سورة الاعراف/١٩٩,

غضبوا هم يغفرون. والذين إستجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون. والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) سورة الشورى من ٣٦ الى ٣٩ ، ذكر سبحانه وتعالى أن متاع الحياة الدنيا الى زوال وأن ما عند الله خير وأبقى، وهو للمؤمنين المتصفين بهذه الصفات الحسنة :

أ. الايمان بالله وتصديق رسله.
ب. التوكل على الله تعالى.
ج. إجتناب كبائر الأثم والفواحش.
د. اذا ما غضبوا هم يغفرون.
هـ. إنهم اجابوا ربهم عندما يدعوهم.
و. إنهم يقيمون الصلاة.
ز. اذا صادفهم أمر تشاوروا فيما بينهم.
ح. انهم ينفقون في سبيل الله.
ط. اذا بغي عليهم باغ ينتصرون منه وينصر بعضهم بعضا.

فجمعت هذه الآيات بين التوحيد والعفة والعدل التي هي جماع الخير كله. روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن. البخل وسوء الخلق).

فعلى الانسان أن يتصف بالصفات والاخلاق التي ارادها الله الى المسلم. وأعلى تلك الصفات هي التعلق بصفة من صفات الله تعالى ، فأن الله جميل يحب الجمال، عفو يحب أهل العفو، وتر يحب أهل الوتر، قوي والمؤمن القوي أحب

الى الله من المؤمن الضعيف، صبور يحب الصابرين، شكور يحب الشاكرين.. وهكذا.

وان اقرب الخلائق إتصافا بهذه الاخلاق وأكثرهم تعلقا بها هو رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وأن الله سبحانه وتعالى لم يثن عليه بشيء كما أثنى على خلقه الكريم. قال سبحانه :(وإنك لعلى خلق عظيم) القلم/٤ ,

وقد أمرنا الباري عز وجل بالتأسي برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وطاعته في اقواله وأفعاله وأحواله، قال جل شأنه : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الاحزاب/٢١ ,

وقد من الله على المؤمنين بارساله، فالرسول عليه الصلاة والسلام حريص على هداية المؤمنين ويحب الخير لهم. قال سبحانه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزعليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة/١٢٨ ,

فالواجب على الامة الاسلامية الأيمان به وتعظيمه وتوفيره وإتباعه ومحبته والاقتداء به. ورحم الله البو صبري إذ يقول في مديحه عليه الصلاة والسلام :

فمبلغ العلم منه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وفي الجامع الصغير للمناوي (فصل كان) ذكر كثير من اخلاقه وأوصافه روى مسلم عن سعد بن هشام قال: دخلتُ على السيدة عائشة رضي الله عنها فسالتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ فقلت : بلى، قالت : (كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن) .

إن هذاالوصف من أم المؤمنين رضي الله عنها واضح كل الوضوح وذلك لأن الاخلاق القرآنية تحدد الخلق الكريم وترسم الفضيلة في درجاتها الاولى وتحض على مكارم الاخلاق، ورسولنا الكريم سيدنا محمد عليه افضل الصلاة واسمى التسليم، قد أتصف بأعلى الدرجات من الخلق الكريم،وسار في الطريق الذي رسمه الله تعالى في القرآن الكريم. فلنتدبر آيات القرآن الكريم فانها نور من الله وكتاب مبين. قال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة ١٥ و ١٦،

ب - ثواب حسن الخلق وعقاب سوء الخلق :

في حديث رواه الترمذي وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسنالخلق، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء). وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن من أحبكم الى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وأن أبغضكم إلي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال : المتكبرون.

وروى الحديث الطبراني في الصغير والاوسط عن ابي

هريرة رضي الله عنه وبهذا اللفظ :(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون. وإن ابغضكم الي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة. الملتمسون للبراء العيب).

وروى البيهقي والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل).

وروى أبن أبي الدنيا عن الأمام جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أدخل رجل على مؤمن سروراً إلاّ خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله تعالى ويوحده، فاذا صار العبد في قبره، اتاه ذلك السرور، فيقول له، أما تعرفني؟ فيقول من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان، أنا اليوم أوانس وحشتك وألقنك حجتك واثبتك بالقول الثابت، وأشهد شاهدك يوم القيامة وأشفع لك الى ربك وأريك منزلك في الجنة).

وهكذا فان القيام بفضائل الأعمال والتخلق بالخلق الحسن يكون امتثالاً لأمر الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ورجاء ما عنده سبحانه وتعالى.

ان رضا الله تعالى في طاعته وطاعة رسوله، وان التقرب اليه سبحانه وطلب مرضاته يكون بالعمل بما أمر به وبالابتعاد عما نهى عنه وبالبر والأحسان الى خلقه. قال سبحانه: (من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن

فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون /النحل /٩٧,

خامساً: سؤال أهل العلم:

أ- اذا حدث للانسان مسألة، ولم يكن عنده شيء من علم ومعرفة تمكنه من تمييز الحق من الباطل، فلا يحل له ان يسكت. ولا يجوز له ان يعمل برأيه لأنه سيحكم بهواه بدون علم. بل عليه ان يسأل من علماء أهل بلده، فيتأكد منه حتى يكون على اليقين من أمره، حيث أن الواجب عليه أن لا يعمل بدون علم. فاذا عمل بدون علم فيكون قد أتبع هواه قال تعالى: (بل أتبع الذين ظلموا أهواءَهم بغير علم فمن يهدي مَنْ أضلَ الله)(١٣٣). بل أنه سيتبع الظن (وأن الظن لا يغني من الحق شيئاً) فسؤال أهل الذكر واجب لتبصيره الى الحق، قال تعالى: فأسالوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون)(١٣٤).

فان الله تعالى هو المسير الاول. وعلى الله قصد السبيل، قال تعالى: (إنَّ علينا للهُدى)(١٣٥). فعلى الانسان السير والسؤال. وأن الله تعالى هو الهادي المبين. قال تعالى: (فأن كُنتَ في شك مما أنزلنا اليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لَقد جاءك الحق من ربك)(١٣٥) والواجب

---

(١٣٣) سورة الروم /٢٩ (١٣٤) سورة الليل /١٢

(١٣٤) سورة النحل /٤٣ (١٣٥) سورة يونس /٩٤

على العالم أن يقدم النصح لطالبيه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لا تزالون بخير ما اذاحاكَ في صدر أخيك شيءٌ. ووجد من يُخبره به ويشفيه منه) وعليه أن يعظ الناس بفعله، فقد قال الحسن رضي الله عنه: (عظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك).

وقد أحسن المتوكل الليثي حيث قال:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله
عارٌ عليك اذا فعلت عظيم
إبدأ بنفسك فأنهها عن غيها
فاذا أنتهيت إذن فأنت حكيم

وقال بعض الشعراء:

واذا إستشارك من تَود فقل له
أطع الحليمَ اذا الحليم نهاكا
وأعلم بأنك لن تسود ولن ترى
سُبل الرشاد اذا أطعت هواكا

وقال بعض العلماء: اذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك الجمهور، فأرجع الى رأي العقلاء، وأفزع الى إستشارة العلماء، ولا تأنف الاسترشاد، ولا تستنكف من الأستمداد. فلأن تسأل وتسلم خير لك من أن تستبد وتندم.

وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه: (الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من إستغنى برأيه).

وقال بعض الحكماء: اذا شاورت العاقل كان عقله لك.

ب - التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم:
قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)(١٣٦).
هذه الآية الكريمة أصل كبير في التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، وقد أمرنا الله تعالى بالتآسي به، وهو الذي يقول الله تعالى عنه: (وإنك لعلى خُلق عظيم)(١٣٧)

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسله الله رحمة للعالمين قال تعالى: (وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين)(١٣٨).
وقد منّ الله تعالى على المؤمنين بارساله، قال تعالى: (لقد منّ اللهُ على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم ويُعلّمهُم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين)(١٣٩).
وكان من دعاء رسول الله ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: (ربنا وأبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمةَ ويُزكيهم إنك أنت

---

(١٣٦) سورة الاحزاب /٢١
(١٣٧) سورة القلم /٤
(١٣٨) سورة الأنبياء /١٠٧
(١٣٩) سورة آل عمران /١٦٤

العزيز الحَكيم)(١٤٠). الرسول المصطفى الذي قال الله تعالى عنه: (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ماعنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)(١٤١) الرسول الكريم حثَّ على مكارم الاخلاق. فقال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه: (انما بعثتُ لأتمم مكارم الاخلاق).

(ج) حُسن إختيار الأخوة:

إن اختيار الخلان والتنقيب على الأصدقاء الصلحاء بغية صحبتهم مما يعين على التغلب على هوى النفس.

فعلى العاقل أن يحرص كل الحرص على صحبة الاخيار ممن عُرف بالخلق الحسن ورجاحة العقل، والنزوع الى الخير، لما لهذه الخصال من عظيم الفائدة، والتأثير على جليس المنصف بها.

فقد حث الرسول على الاخوة الحسنة، فقال صلى الله عليه وسلم (من اراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً، انْ نسي ذكره وان ذكر اعانه). وقال في وصف الأخوين في الله: (مثل الأخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسلُ احداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط إلاّ أفاد الله احدهما من صاحبه خيراً)وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده فتخلفهُ).

---

(١٤٠) سورة البقرة /١٢٩

(١٤١) سورة التوبة /١٢٨

وعن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال في تفسير قوله تعالى: (خذ العفو وأمر بالعُرف) قال خذ من أخلاق الناس ومن أعمالهم ما ظهر منها من غير تجسس.

وقال ابن عباس في وصيته لمجاهد: (ولا تذكر أخاك اذا تغيب عنك الا بمثل ما تحب ان تُذكر به اذا غبت، وأعفه بما تحب ان تُعفى به).

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المرء على دين خليله).

وروى الأصمعي عن مجاهد: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال لرجل وكان قد كره له صحبه رجل رهق:

فقال شعراً

لا تصحب أخ الجهل وأياك أياهُ
فكم من جاهل أروى حليمًا حين آخاه
يقاس المرءُ بالمرء اذا ما هو ماشاه
وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وقال عبدالله بن الحسين لابنه محمد رضي الله عنهم (إحذر مشورة الجاهل وأن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العاقل اذا كان عدواً، فانه يوشك أن يورّطك بمشورته، فيسبق اليك مكر العاقل، وتوريط الجاهل).

أما مؤاخاة أهل الهوى، ومن أسَرَتهم شهواتهم،

فينبغي أن ننظر اليها بشيء من التفصيل، وعلماؤنا الأقدمون رحمهم الله تعالى، فصلوا في بحث العزلة ومخالطة الناس، فقالوا اذا أمن الانسان على نفسه في مخالطة البعض ورجا انتفاع من تُرجى صحبته، فالصحبة مشروعة، بل هي من باب مخالطة الغير لوعظه وانقاذه من جهله،أما اذا كان لا يأمن على نفسه من التأثر بأهل المعاصي والشهوات، فالعزلة أفضل من المخالطة.

فينبغي والحالة هذه، اذا كان الانسان يأمن على نفسه من التأثربصحبتهم ويأمل هدايتهم، أن يحرص كل الحرص على عرض نصحه بدقة وحكمة، وحسن نية بعيداً عن الشماتة والتشهير، وأن يضرع الى الله تعالى بأن يقذف الهداية في قلب صاحبه.

قال الأمام محمد بن علي الباقر لابنه جعفر الصادق رضي الله عنهم:: (لا تصحبنّ من الناس خمسة، وأصحبْ من شئت:الكذاب: فانك منه على غرر. فهو مثل السراب، يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب. والأحمق: فانك لست منه على شيء. يريد أن ينفعك فيضرك. والبخيل: فانه يقطع بك أحوج ما تكون اليه. والجبان: فانه يسلمك وماله ونفسه عند الشدة. والفاجر، فانه يبيعك بأكلة أو بأقل منها، قال: وما أقلّ ممها. قال: الطمع.

هذا ومن رزقه الله أخاً صالحاً تطمئن به نفسه ويصلح معه قلبه، فهي نعمة من الله عز وجل مضافة الى محاسن نعمه، وله الحمد والشكر حتى يرضى، ربنا ألف بين قلوبنا، وكما قلت: (ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك

رؤوف رحيم)(١٤٢).

١٤. الوعظ والأرشاد:

مما لا شك فيه أن للوعظ والأرشاد أثراً في النفس، فهو من دواعي إطمئنانها ونزوعها الى الهدى والأرشاد، ولا سيما عندما يكون اسلوب

الواعظ مشوباً بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: (أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)(١٤٣). وقال عز وجل (... أدفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولي حميم)(١٤٤) ومن دواعي تأثر النفس بالموعظة والأرشاد، عندما يحظى الانسان بمجالس الذكر وحَلق العلم، فيكون محفوفاً بالملائكة الكرام تغشى مجلسهم الرحمة، وتنزل عليهم السكينة.

ويذكرهم الله تعالى فيمن عنده، مصداقاً لما جاء في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أجتمع قومٍ في بيت من بيوت الله يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يُسرعْ به نسبه) رواه مسلم عن أبي هريرة. ومن دواعي طهارة النفس، واطراد سموها ملازمة صاحبها مجالس الذكر والدعوة الى

---

(١٤٢) سورة الحشر/١٠

(١٤٣) سورة النحل/١٢٥

(١٤٤) سورة فصلت/٣٤

الله، التي أمر الله بحضورها. قال تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يُريدون وجهَهُ ولا تعدُ عيناك عنهم تريدُ زينة الحياة الدنيا ولا تُطعْ مَنْ أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمرُهُ فُرطاً)(١٤٥) والانسان بصحبته الكرام وحضور مجالسهم يرتقي الى مراتبهم، ويُعد منهم، وان كان باديء الأمر دون مستواهم، لأن الله تعالى بشَّر بذلك في الحديث القدسي: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ان لله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر... وفيه يقول الله تعالى للملائكة: فأشهدكم أني قد غفرتُ لهم. وقال: يقول ملَك من الملائكة: منهم (الحاضرون) فلان ليس منهم، انما جاء لحاجة قال: (هُمُ الجُلساء لا يشقى بهم جليسهم) متفق عليه عند البخاري ومسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

والانسان العاقل، اذا تذوق مكارم الاخلاق، والفضيلة، وعاشر أهلها، يأنف التراجع والنزول الى الحضيض، ومتى تعقل الانسان وسمت نفسه في طريقها الرفيع، فمن الصعب أن تنحط الى المستوى الدون، مادام يلازم صحبة الكرام ويحضر مجالسهم.

وبعد: فأن للوعظ تأثيراً بليغاً في النفس، سواءً بألفاظه أم بشخص الواعظ، أم برواد مجلسه، وكم أحدث الوعظ في النفوس من إنقلاب، وكم غيّر من أشخاص كانوا قبل سماعه أبطالاً في الغواية والهوى، فصاروا ابعد سماعه تقاة هداة.

---

(١٤٥) سورة الكهف /٢٨

ومن أساليب الوعظ: أن يقوم الواعظ والمرشد بارشاد الناس باسلوب التعريض لا اسلوب التصريح، واستعمال الألفاظ التي تؤدي الى الهداية والأرشاد، لا التقريع والتأنيب، والدعوة الى محاسن الدين الأسلامي ونشر مبادئ الاخلاق الكريمة الفاضلة.

وعلى المرشد أن يوضح للناس القضايا التي يريد بحثها قبل حدوث وقتها، ليهتدوا اليها، كفريضة الصيام مثلاً: فان الدعوة اليها والقاء المحاضرات في واجبات الصيام، وتذكير الناس بآيات الله التي تدعو الى الصيام وأحاديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. تكون قبل قدوم الشهر المبارك بمدة كافية لتذكير الناس وحضهم على الخير. كما ان زكاة الفطر، تعطى في الأيام الاخيرة من شهر رمضان، وقبل صلاة العيد، فاذا ذكرت في خطبة عيد الفطر، لا تكون لها فائدة لمرور وقتها. كما أن خطبة الجمعة ذات فائدة عظيمة لارشاد الناس الى مكارم الاخلاق وتعريفهم بأمور دينهم ومعاشهم.

وقد يرى بعض المربين والمصلحين أموراً شائعة، كأن تظهر بين فئة من المواطنين. ويراها البعض مخالفة لمبادئ الاخلاق الفاضلة، وتؤدي في النهاية الى الفساد وهلاك العباد، فيقوم بتدبيج المقالات والكلمات التي يراها ضرورية، ونشرها في احدى وسائل النشر المتيسرة من جرائد أو مجلات أو في الاذاعة.

كما أن أكثرية الاندية والجمعيات الاجتماعية تهيء محاضرات لارشاد الناس وتوجيههم الى مبادئ الدين

الحنيف، والقيم الفاضلة، والخلق الرفيع، فان ذلك من أعظم ما تفتقر اليه الامة.

وهذا كله يؤدي الى النتائج الحميدة، اذا كان هناك تخطيط علمي هادف لنشر الفضيلة ومحاربة الفساد. هذا كله يوافق ما ورد في الفقرة (٤) من توصية وزراء التربية العرب الذي انعقد في الكويت والوارد ذكرها سابقاً. ونعيد أدناه ذكرها لأهميتها، ولأن المؤتمر كان موفقاً كل التوفيق عند إتخاذها. ولا يعوزها إلاّ التنفيذ.

الفقرة (٤) (أن يتم تنسيق فعال بين أجهزة التوجيه المختلفة في المجتمع من تربية وصحافة واذاعة ومؤسسات رعاية الشباب والأندية الأجتماعية، بحيث تتعاون في إيجاد جيل مؤمن بالله، واع مستنير، يقدر المسؤولية، ويكون على مستوى الأحداث الجارية في العالم العربي حتى يتحقق على يديه النصر إنْ شاء الله)

اللهم اهدنا فيمن هديت، وتولنا فيمن توليت، وأحسن عواقبنافي الأمور كلها، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، انك على ما تشاء قدير وبالأجابة جدير، انك نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

١٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

اذا إسترسل الناس في إتباع الهوى والشهوات، وأنتفت عندهم مراقبة الخالق سبحانه وتعالى، فلا بد أن تعم الضلالة، ويستشري الفساد، فالواجب أن ينهض من الناس

المؤمنون الصادقون من يسعى لتلافي الأمر، ويعمل على سد الثلمة ويجتهد في إحياء سنة الله، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أـ تعريف المعروف والمنكر:

المعروف: لغةً: ما تعارف عليه الناس وألفته النفوس، وكان غير مستغرب لدى الطبع السليم، وأدرك الى درجة الشهرة.

والمعروف: شرعاً: فهو ما عرف من دين الله تعالى من أفعال حسنة، مفروضة كانت أو مسنونة أو مستحبة.

والعُرف: لغة: ما تعارف عليه الناس خيراً.

والعُرف: شرعاً: المستحسن، قال تعالى: (خَذْ العفوَ وأمر بالعُرف)

والمنكر: ضد المعروف: فهو ما تنكره النفوس الخيِّرة، وينكره الشرع مُحرماً كان أو مكروهاً. ويُغضب الله تعالى.

ب ـ مشروعيته:

فقد أمرنا الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى : (ولتكُنْ منكم أمةً يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)(١٤٦). فظاهر قوله تعالى (ولتكن) أمر واجب العمل به من قبل أمة صالحة من الناس، انها، انْ قامت بهذا

---

(١٤٦) سورة آل عمران /١٠٤

العمل يكون الفلاح نصيبها. إذ حصر الفلاح فيهم بقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) وقد ذكر الله تعالى أمة من أهل الكتاب بالخير وشهد لهم بالصلاح بقوله تعالى: (ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمّة قائمةٌ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) (١٤٧).

لقد شهد الله لهم بالصلاح بعملهم الذي شمل: الايمان بالله واليوم الآخر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ومسارعتهم في الخير والعمل الصالح. وقد وصف الله المؤمنون بقوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة)(١٤٨).

وقد ذكر الله هذه الامة بصفة المدح بقوله تعالى: (كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(١٤٩) فإنما حازت هذه الأمة (صفة الخيرية) وقصب السبق في الخيرات بهذه الصفات: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأيمان بالله) فمن أتصف بهذه الصفات دخل في هذا المدح. وكما قال في آية أخرى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) أي خياراً، لأن خير الأمور

---

(١٤٧) سورة آل عمران /١١٣, ١١٤

(١٤٨) سورة التوبة /٧١

(١٤٩) سورة آل عمران /١١٠

أوساطها (لتكونوا شهداء على الناس)(١٥٠).

والذي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقدر عليه فانه سيكسب الأثم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: ياهذا اتق الله ودعْ ما تصنع، فانه لا يحل لكَ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: (لُعنَ الذي كفروا من بني أسرائيل على لسان داؤود وعيسى إبن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لَبئسَ ما كانوا يفعلون. ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لَبئس ما قدمتْ لهم أنفسهُم...) الى قوله تعالى (فاسقون) ١٥١ ثم قال: (كلّا والله لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر ولتأخذُنّ على يد الظالم ولتأطُرنّهُ على الحق أطراً، ولتقصرنّهُ على الحق قصراً، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم)(١٥٢). قوله: تأطروهم: أي تعصفوهم.

وروى الامام أحمد رضي الله عنه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١٥٠) سورة البقرة /١٤٣

(١٥١) الآيات من سورة المائدة من ٧٧ الى ٨١

(١٥٢) الحديث رواه أبو داؤد والترمذي

وسلم قال: (والذي نفسي بيده لتأمُرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليُوشكَنّ اللهُ أنْ يبعث عليكم عِقاباً من عنده ثم لتَدْعُنَّه فلا يستجيب لكم).

وقد حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب كل فرد من الأمة بحسبه فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى منكم مُنكراً فليغيِّره بيده، فان لم يستطعْ فبلسانه. فإن لم يستطعْ فبقلبه وذلك أضعفُ الايمان). وواضح ان تغيير المنكر باليد من واجب الحكومات وأصحاب السلطة. لأن المجتمع مرتبط بقوانين وأنظمة تعاقب المخالفين لتلك القوانين.

أما تغيير المنكر باللسان فمن واجب الآباء والعلماء والمصلحين والمرشدين الذين يعرفون الحق فيرشدون اليه، ويرون الباطل باطلاً فيدعون الى تركه.

وأما تغيير المنكر بالقلب (والذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

(وذلك أضعف الايمان). فيكون بأطار التجهم وشعور عدم الرضا أمام الشخص الذي يعمل المنكر، وعندما يظهر للانسان أي عمل منكر لا ترضى به نفسه، ولا يطمئن اليه قلبه، فيقول في نفسه ياربِّ، هذا منكر لا يرضيك ولا أرضاه. فأنه سيكون عنده حالة من الشعور تمنعه من العمل بمثله، ويكون له من نفسه خير زاجر بعدم السير في ذلك الطريق، بينما اذا لم يتكون في قلبه شعور بعدم الرضا من ذلك العمل، فأن من المحتمل أن يقتدي، ويعمل بمثل ذلك العمل.

ج ـ أسلوب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بالموعظة الحسنة والكلام اللين، وبرفق، فمن احتاج الى المناظرة والجدال فليكن بالموعظة الحسنة، ولين الجانب، كما امر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما الى فرعون في قوله تعالى: (فقولا له قولاً ليناً لَعله يتذكرُ أو يخشى)(١٥٣) فلا بد من الرفق، واللين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما كان الرفق في شيء إلاّ زانه، ولا كان العنف في شيء إلاّ شانَه). فأن الكلمة الطيبة تؤدي مفعولها الى السامع. وتنشر روح المحبة والتآلف بين النفوس. فأن لم يفعلوا ذلك فأن الشيطان ينزغ بينهم ويُغري بعضهم على بعض بالمخاصمة والمقاتلة، قال تعالى: (وقلْ لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغُ بينهم ان الشّيطان كان للأنسان عدواً مبيناً)(١٥٤). فأن من نزغ الشيطان أن يخرج الكلام عن أسلوب الحكمة الى اسلوب العنف، ومن ثم يقع الشر والمخاصمة بين الناصح والمنصوح. فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، روى الأمام أحمد عن علي بن زيد عن الحسن رضي الله عنهم قال: حدثني رجل من بني سليط قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في رفلة من الناس فسمعته يقول: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله. التقوى ههنا.. وأشار بيده الى صدره) فلابد من تيّسر ثلاثة أمور: وهي العلمُ قبلَ الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر

---

(١٥٣) سورة طه /٤٤

(١٥٤) سورة الأسراء /٥٣

بعده.

وقد وصف الله المؤمنين القائمين بحدود الله بقوله (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)(١٥٥).

هذا وعد من الله تعالى، كقوله تعالى: (وعد اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهمْ في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمْناً يعبدونني لا يُشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)(١٥٦).

هذا الوعد ينجز اذا عرف العباد حق الله عليهم. كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (حقّ الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً) و (إن حق العباد على الله أن لا يعذبهم)(١٥٧)

ومن كفر بعد ذلك فأؤلئك هم الفاسقون

هذا ومن أراد استقصاء بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما ورد من نصوص الكتاب والسنة كنيل بتحقيق صورة مهمة عن أهمية هذا الأمر ونذكر صوراً يصورها لنا

---

(١٥٥) سورة الحج /٤١

(١٥٦) سورة النور /٥٥

(١٥٧) الحديث في تفسير ابن كثير الجزء ا ثالث صفحة ٣٠٢

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم في حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين أسفلها اذا أستقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ مَنْ فوقنا، فأن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعاً) الحديث رواه البخاري.

حدود الله ـ ما نهى الله عنه ـ أستهموا: أقترعوا فصار لكلٍ سهم.

أخذوا على أيديهم ـ منعوهم من الخرق.

يظهر لنا أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يصور لنا حديث الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام، عاقبة الساكت وحالة الآمر في توجيه الجاهل او الغافل واشتراكهما في المصير. فنجاة وحياة

المجتمع الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر محتم، كنجاة اصحاب السفينة.

١٦- تحقيق المجتمع الفاضل:

وهكذا نر ى ان الاسلام قد اتجه الى اصلاح النفس مستهدفا تقويمها وتهذيبها وتزكيتها. فأن هذا الاصلاح هو الغاية المرجوة لتحقيق المجتمع الفاضل، ان الانسان مهما حاول لتحقيق رسالته في الحياة كخليفة لله في الارض.. فأنه

لايبلغ ذلك دون تغيير في نفسه، مستهدفا تربيتها على المثل والمبادىء الفاضلة اللازمة لتقويم شخصية الانسان.

ان الحديث عن العلم وعن المال وعن التقدم الصناعي حسن وجميل، لانه متصل بواقع الإنسان. ولكن اجمل منه العناية بفضائل الإنسان وتقويم شخصيته.والتي تتمثل في الإيمان بالله تعالى والإخلاص في عبادته، وان يكون كل عمل يقوم به الإنسان يرجو به مرضاة الله، ويبتغي رحمته ومحبته وشكره، ورجاءه، والخوف منه وذكره.

ان التمسك بمبادىء الإسلام كفيل بأن تنير الدرب، هذه المبادىء التي ترشد الحيارى وتنير الطريق. انها انقى واطهر ماعرفه البشر، انها المذهب المستقيم الذي به عمارة الكون وبه صلاح الدنيا وسعادة البشر.

فأن العاقل الذي يسير على هدى الاسلام، سيقاوم هواه، وسيكون حبه وبغضه ورغبته واندفاعه الى اي عمل تبعا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. ان مجاهدة الهوى هي الحياة. هي السير في السبيل الذي يؤدي الى السعادة في الدارين.

بعض ما أمر به الإسلام وحث على التمسك به:-

أ- ذلك ان الاسلام قد اعطى كل عامل حقه، وكل مجتهد نصيبه، وحث على فعل الخير والاحسان. هذا الاحسان الذي يقول فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام [اخبرني عن

الاحسان } فقال:{الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك }.

ب- الاسلام الذي امر بالصدق. قال تعالى: {ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } (١٥٨).

ج- الاسلام الذي نهى عن شهادة الزور وحث على الاخلاق الحسنة. قال تعالى: (والذين لايشهدون الزور واذا مروا بأللغو مروا كراما، والذين اذا ذُكروا بآيات ربّهم لم يخروا عليها صما وعميانا)(١٥٩).

د- الاسلام الذي امرنا بتأدية الامانة والعدل. وفيه يقول ربنا عزّ وجل(ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الاناس انْ تحكموا بالعدل إن الله نِعّما يعظكم به)(١٦٠)

هذا العدل الذي اوصى به الصديق- رضي الله عنه -، الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (انك لو عَدلَت على الناس كلهم وجُرتَ على واحد منهم لَمالَ جورُك بعدلك).

العدل الذي جعل الناس سواءً امام شريعة الله، فهي تُطبق على الفقير كما تُطبق على الغني وتُطبق على الصغير

---

(١٥٨) سورة التوبة/١١٩
(١٥٩) سورة الفرقان/٧٢، ٧٣
(١٦٠) سورة النساء/٥٨

كما تُطبق على الكبير، اسمعوا (معاشر المؤمنين) ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يلحق بالرفيق الاعلى، حين استقبل الناس بهذه الكلمات: (يا أيها الناس مَن كُنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقدْ مني، ومَن كنت شتمتُ له عرضا فهذا عرضي فليستقدْ مني، ومَن اخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولايخشى الشحناء فهي ليست من شأني) من كتاب (حقائق الاسلام) للاستاذ العقاد.

هـ - الاسلام الذي ازال الطبقات وساوى بين الناس، واصبح افضل الناس هو اتقاهم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اوسط ايام التشريق خطبة الوداع، فقال: (يا أيها الناس ان ربكم واحد، وان اباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عَجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على احمر إلا بالتقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم، ألا هل بلّغتُ؟ قالوا بلى يارسول الله.قال: فليبلغ الشاهدُ الغائب...) ثم ذكر بقية الحديث.

فكل من كان اتقى كان عند الله اكرم.هكذا بصيغة التفضيل (اكرم) و (اتقى).

و- الاسلام الذي يربي الناس على مكارم الاخلاق وفيه يقول الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (انما بُعثتُ لأتمم مكارم الاخلاق).

ز- الاسلام الذي يأمر بإيفاء العهد. قال تعالى: (واوفوا بالعَهد إن العهد كان مَسؤولاً)(١٦١). فمراعاة العهود والمواثيق مما يساعد على انتظام سير الحياة، فذلك الذي يكون موعودا بوعد، يبني آمالاً كثيرة على ذلك الوعد، فإذا انخذل، فلابد وان يصاب بألم وشعور مرير بالنفس، تبقى معه مادام يذكره.

ح- الاسلام الذي ارتضاه الله لنا دينا. قال تعالى: (اليومَ اكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلام ديناً)(١٦٢).

وقال سبحانه: (وتمت كلمةُ ربك صدقا وعدلاً لا مُبدل لكلماته وهو السميع العليم)(١٦٣) صدقا في الاخبار وعدلاً في الاحكام.

وقال عز وجل: (إنّ الدينَ عند الله الاسلام)(١٦٤).
وقال عز شأنه: (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلنْ يُقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(١٦٥).

.. لأن الاسلام هو هدى الله تعالى.
قال سبحانه: (قلْ إن هدى الله هو الهُدى، ولئن اتبعتَ

(١٦١) سورة الاسراء/٣٤
(١٦٢) سورة المائدة/من الآية/٦
(١٦٣) سورة الانعام/١١٥
(١٦٤) سورة آل عمران/من الآية/١٩
(١٦٥) سورة آل عمران/٨٥

اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالَكَ من الله من ولي ولا نصير)(١٦٦). فالذي جاء من العَلم في كتاب الله مفصلا وفيه الهداية. قال تعالى: (ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هُدىً ورحمةً لقوم يُؤمنون)(١٦٧). قرآنا عربيا فُصلت آياته، فتزوله بلغة العرب، ذكر طيب للعرب، قال تعالى: (وإنّه لَذكرٌ لك ولقومك وسوف تُسئلون)(١٦٨).

- انه نزل بلغة العرب فَبه تُذكر العرب، وبه عزها وفخرها ومجدها. معاشر المؤمنين: يقول ربُنا جل جلاله (وسوفَ تُسئلون). عن ماذا سوف يسألنا الله؟ انَّ كل فرد من قوم محمد عليه الصلاة والسلام سوف يسأل عن القيامَ بواجبه من العمل بكتاب الله وتبليغه والدعوة اليه، والحكم بموجبه، وبما أمر الله تعالى. قال تعالى: (وكذلك أنزلناه حُكماً عربياً، ولئن أتّبعت أهوائهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واقٍ)(١٦٩). ليس فقط بلسان عربي بل حكماً عربياً ايضاً.

ي - الأسلام الذي حرّم الشُح والبخل. وفيه يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (إياكم والشُح فأنه

---

(١٦٦) سورة البقرة/١٢٠

(١٦٧) سورة الاعراف /٥٢

(١٦٨) سورة الزخرف/٤٤

(١٦٩) سورة الرعد /٣٧

أهلك مَنْ كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا). فالأساس قوله تعالى: (ومَنْ يُوقَ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون)(١٧٠).

ك ـ الاسلام الذي حرّم الفواحش، قال تعالى: (قُلْ إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بَطَن، والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم يُنزّلْ به سُلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)(١٧١).

ل ـ الأسلام الذي أمر بالجهاد بالنفس والمال في سبيل الله، وقد مدحه في أكثر من آية من كتابه. قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئةً فأثبتوا. وأذكروا الله كثيراً لعلكم تُفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم. وأصبروا ان الله مع الصابرين)(١٧٢). وقال سبحانه وتعالى: (ان الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والأنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (١٧٣). ثم حدد الله بعض صفات

---

(١٧٠) سورة الحشر /٩ والتغابن /١٦
(١٧١)-سورة الاعراف /٣٣
(١٧٢) سورة الانفال /٤٥ و ٤٦
(١٧٣) سورة التوبة /١١١ و ١١٢

المؤمنين بالآية التي بعدها: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين). نعم إنها لبشرى من الله لنيل الفوز العظيم.

معاشر المؤمنين: يقول الله تعالى في سورة ياسين: (ومالِيَ لا أعبدُ الذي فطرني واليه تُرجعون. ءأتخذ مِنْ دونه آلهة انْ يُردنِ الرحمن بضُر لا تُغنِ عني شفاعتُهم شيئا ولا يُنقذون. إنِيَ اذاً لفي ضلال مُبين، اني آمنتُ بربكُم فأسمعونِ. قيل أدخل الجنّة قال ياليت قومي يعلون بمَا غفر لي ربيّ وجعلني من المكرمين).

١٧ ـ الخاتمة:

هذه الصفات التي تضمنتها هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفةفي غضون هذا البحث. هي في الواقع حصيلة مجاهدة هوى النفس وثمرة من ثمرات الأيمان، أقتطفت بأتباع أمر الله تعالى، والأستجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يُحييكم...)(١٧٤).

هذه الصفات هي التي تجعل الحياة حلوة سعيدة، بتقييم الموازينوالمساواة بين الناس وإعتبارهم سواسية كأسنان المشط. والسعي للغاية الشريفة، لتحقيق العدل والأحسان،

---

(١٧٤) سورة الأنفال /٢٤

ومحاربة أسباب الشقاء، وذلك بمحاربة الفحشاء والمنكر والعدوان.

ونختتم بحثنا هذا بهذه الآيات الكريمة من سورتي الشعراء والحديد.قال تعالى - في سورة الشعراء: (قال أفرأيتم ما كُنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمُونَ. فأنهم عدوٌ لي إلاّ ربّ العالمين.

الذي خلقني فَهو يهدينِ.
والذي هو يُطعمني ويَسقينِ.
واذا مرضتُ فهو يشفينِ.
والذي يُميتني ثُم يُحيينِ.

والذي أطمعُ أن يغفر لي خطيئتي يَوم الدين) ثم قال سبحانه :ربّ هَبْ لي حُكماً وألحقني بالصالحين. وأجعل لي لسان صدق في الأخرين. وأجعلني من ورثة جَنّة النعيم، وأغفر لأبيَ إنه كانَ من الضالّين. ولا تُخزني يَومَ يُبعثون. يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بُنون. إلاّ من أتى الله بقلب سليم).

وقال سبحانه - في سورة الحديد -(ألم يأن للذين آمنوا أنْ تخشعَ قُلوبُهم لذكرِ الله وما نزل من الحقّ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتابَ منْ قبلُ فَطال عليهم الأمدُ فقستْ قُلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون. إعلموا أنّ اللهَ يُحي الأرض بعدَ موتها قد بينّا لكُم الآيات لعلّكم تعقلون. انّ المُصّدقين والمصّدّقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يُضاعفُ لهم ولهُم أجر

كريمٌ. والـذين آمـنوا بالله ورُسـلُه أولئك هُـمْ الصّديقُـون والشُهداءُ عند ربهـم لهـم أجرُهُم ونـورُهم. والـذين كفـروا وكذّبوا باياتنا أولئك أصحابُ الجحيم. إعلمـوا أنمّا الحيـاةُ الدنيا لعبٌ ولهـوٌ وزينـةٌ وتفـاخرٌ بينكـم وتكـاثرٌ في الأمـوال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباتهُ ثُم يهيجُ فتراهُ مُصفراً ثُم يكون حُطاماً وفي الآخرة عـذابٌ شـديدٌ ومغفـرةٌ مـن اللـه ورضوانٌ وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغُرور. سابقوا الى مغفـرة من ربكم وجنة عَرضُها كعرض السماء والأرض أُعدّتْ للـذين آمنوا بالله ورُسُله. ذلك فضلُ الله يُؤتيـه مـن يشـاءُ واللـهُ ذو الفضل العظيم)

صدق الله العظيم

وندعو اللـه تعـالى بدعـاء رسـول اللـه سـيدنا محمـد المصطفى صلى الله عليه وعلى آلـه وصحبـه وسـلم: (اللهـم آت نفسي تقواها. وزكها انت خـير مـن زكاهـا، أنـت وليهـا ومولاها) وصدق رسوله الكريم عليـه أفضـل الصـلاة وأسـمى التسليم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللواء المتقاعد
كـامل طـه محمـد الدبوني

بغداد /اليرموك

المراجع

(سلكت في ترتيب هذه المراجع أسبقية تأليفها)

١- قوت القلوب في معاملة المحبوب - للأمام الجليل أبي طالب محمد بن أبي الحسن المكي المتوفى في بغداد سنة ٣٨٦ هجرية.

٢- إحياء علوم الدين - للأمام الجليل أبي حامد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هجرية.

٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للأمام الحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم المنذري المتوفى سنة ٦٥٦ هجرية

٤- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - للأمام محي الدين أبي زكريا النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هجرية

٥- رسالة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية

٦- التبيان في اقسام القرآن - للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف (بابن القيم الجوزية) المتوفى سنة ٧٥١ هجرية

٧- الكلم الطيب والعمل الصالح - مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد - لمؤلفه العلامة ابن القيم الجوزية

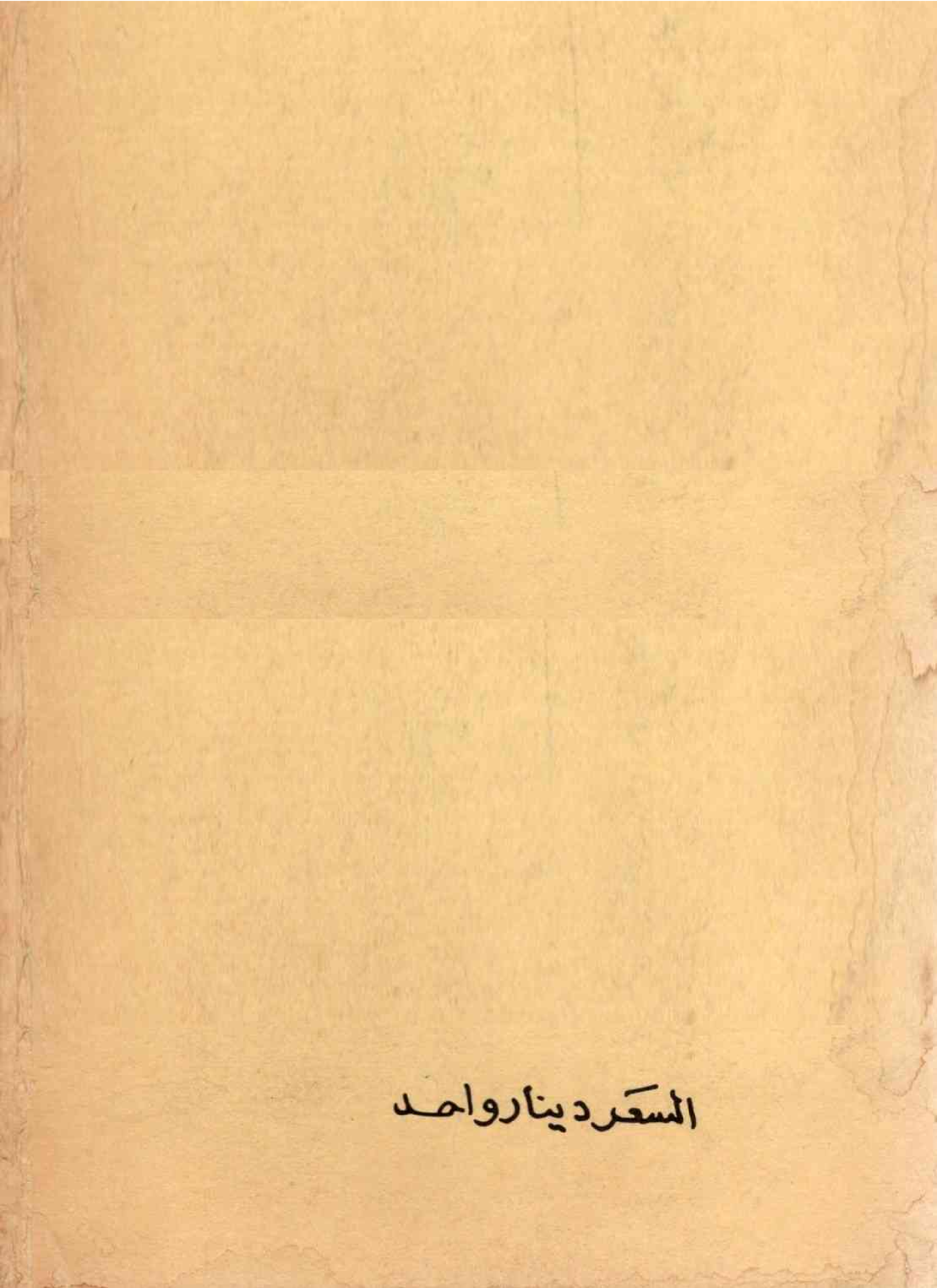
٨- تفسير ابن كثير - للأمام الجليل اسماعيل بن كثير القرشي الدمشغي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية

٩- الفتح المبين لشرح الأربعين - مخطوط في مكتبة

الفهرس

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي



السعر دينار واحد